استغاثة ماضي

الفائزة في مسابقة إبداع ٢٠١٨

رواية

أمل أشرف

الكتـــــــــــاب: استغاثة ماضي

المـــــؤلـــــف: مل أشرف

تصميم الغـــلاف: محمد دربالة

المراجعة اللغوية: MK

الطبعة الأولي: فبراير 2019

رقـم الإيـــداع: 2018 / 23831

الترقيـم الـدولـي: 978 - 977 - 6590 - 36 - 6

الإخـراج الفنـــي: MK for Publishing and Distribution

المدير العام: محمد عبدالعال قاسم

جميع الحقوق محفوظة

وأي اقتباس أو تقليد، أو إعادة طبع، أو نشر دون موافقة قانونية مكتوبة يعرض صاحبه للمساءلة القانونية، والآراء والمادة الواردة وحقوق الملكية الفكرية بالكتاب خاصة بالمؤلف فقط لا غير.

العنوان: 3 ش محمد يوسف من سليمان جوهر –الدقى-جيزة

موبايل: 01003002847

البريد الإلكتروني: mkbookstor@gmail.

استغاثة ماضي

الفائزة في مسابقة إبداع ٢٠١٨

رواية

أمل أشرف

M.K
Publishing
Distribution
2019

يوم الأحد 8/28 فى الساعة السابعة صباحًا

رامي يجلسٍ على سريره يفكر فيما حدث له، يتذكر منظر العمال على الأرض جثث هامدةً، يتذكر المشهد بوضوح، لم تسقط منه اى تفصيلة على الرغم من محاولاته العديد ليمحي هذا اليوم من ذاكرته تمامًا لكن جميعها باء بالفشل، فأراد أن يضع حدًا لهذه الذكرايات ولهروبه وانعزاله عن الناس فى الفترة الأخيرة فقرر الذهاب إلى عمله، نهض من جلسته متجهًا إلى خزانة ملابسه ليختار شيئًا يرتديه يتناسب مع حراره الجو، قاطعه رنين هاتفه «المنبه يدق» أغلقه مكملاً طريقه ليأخد حمامًا منعشًا ويحلق لحيته وشعره قليلًا لعله يخرج من حالته هذه

بعدما انتهى ارتدى ملابسه ثم وقف أمام المرآة يظبطٍ هيئته ويمشط شعره حتى انتهى بوضع عطره المفضل، خرج من الغرفة ممسكًا بهاتفه المحمول متصلا بخطيبته مريم كان ينوى أن يتناول إفطاره معها لكنها لم تجب اتصاله فقرر النزول والتوجه إلى عمله على الفور، عندما وصل رن هاتفه، كانت مريم هي من تتصل فأجابها وهو يطٍل من سيارته اللانسر البيضاء ليدخل من باب شركه المقاولات التي يعمل بها قائلاً

- صباح الخير

- صباح النور، صوتك أحسن النهارده

- لا وكمان هتلاقينى قدامك كمان شويه

- أنتَ جاي الشركة

- وصلت فعلا ونازل من العربيه هخلص شويه ورق وأعدي على مجدي الأول طبعا وبعد كدا هجيلك

- الراجل مش هيصدق نفسه دا هراني سؤال عنك

- أنتِ نسيتى تقوليله إنى هاخد يومين أجازه ولا إيه

- لا قولتله بس هو كل شويه يسأل عليك علشان الشغل متعطل ومش عاوز أى حد غيرك

- مش عارف هو جايب الثقه فيَّ دي منين

- ولا أعرف الصراحة

- ولا تعرفي شكرا جدا

- هاهاهاهاها لا لا عارفة .. دا أنا أكتر حد بيثق فيك

- بتحاولي تصلحي موقفك هعدّيها

- كنت هتعمل إيه يعنى

- ولا حاجه كنت هقفل علشان أدخل أقابل مجدي وأجيلك بسرعة

- طيب يلا مستنياك سلام

- سلام لحد م أجي

أغلق الهاتف واتجه إلى الشركة ليدخل وهو يرى أحد رجال الأمن الذي ألقى عليه السلام

- صباح الخير يا باشمهندس رامي

- صباح النور يا فوزي

أكمل طريقه إلى الداخل بكل ثقة، وجد فى مقابله صديقه وزميل عمله أحمد

- صباح الخير يا باشمهندس رامي

- إيه يا عم الجو الرسمى دا، صباح النور

- أصلك وحشتنا فينك من زمان يا معلم!

- موجود بس كان لازم أرتاح يومين تلاتة كدا بعد اللي حصل أنت عارف أعصابي بتتعب بسرعة

- أنا شايف إنه من حقك ترتاح الصراحة لكن سعادة المدير مجدي شايف حاجه

تانية خال

- ليه إيه اللى حصل في غيابي، إشجينِ

- لا مفيش، قالب عليك الدنيا من يوم ما إختفيت وغالبا ناويلك على نية كدا حاجة شبه الرفد

- طيب ربنا يبشرك بالخير يا أحمد على الصبح، كفاية عليك أنت كدا النهارده سلام يا صاحبي

- استنى بس هقولك

- سلام يا عم

- أبو الخدود خد تعالى أقولك

أشاح رامي بيده ولم يتوقف عن السير فى طريقه إلى مكتبه مقابلًا هند السكرتيرة قائلًا

- إزيك يا هندسة

- إزى حضرتك يا فندم حمدًا لله على السلامة

- الله يسلمك، عاوزك تجهزيلي أى ورق متأخر وتجيبيه على طول

- حاضر يا فندم، الباشمهندس مجدي كان سأل على حضرتك

سمعها لكنه لم يتوقف محاولًا إنهاء الحوار بقوله

- آه عارف، هروحله دلوقتى

دخل مكتبه المتواضع - الذى أشرف على ديكوره بنفسه فهو بالإضافة إلى إنه مهندس مدني ناجح هو أيضًا صاحب ذوق رفيع في اختيار الألوان والأثاث فبمجرد أن طلبته الشركه للقدوم لتفاجئه بقبوله للعمل معهم بصفة رسمية بصفته مهندسًا مدنيًا لديه خبرة واسعة فى المجال، أخبرهم برغبته فى اختيار ديكور مكتبه ولم يجد منهم سوى الموافقة والترحيب ¬- الذى يحتوي على مكتب فخم من الخشب الأسود، أمامه كرسيان من الجلد الأسود وعلى الحائط -فى مواجهة المَكتب- مكتبة معلقه تحتوي على الكتب الخاصة به سواء كانت كتبًا تخص الهندسة أو روايات

أو كتب فى علوم الدين وعلى الجانب الأخر من الغرفة يوجد شاشة معلقة على الحائط فى مواجهتها أريكة وكرسيان من الجلد الاسود أيضًا تتوسطهم سجادة باللون النبيتي وعلى الحائط خلف الأريكة علق شهادات خبرته وتفوقه بطريقة منظمة، أغلق الباب خلفه وجلس على كرسيه المريح ولم تمر ثوانٍ حتى رن هاتف المكتب فرفع السماعة وهو يعلم من المتصل ويقول فى نفسه « لحقتي تبلغي عنى يا هندسه «

- ألو

- أهلا يا باشمهندس يا محترم

- أهلا يا فندم وحشتنى واللهِ

- وحشتك واللهِ أنت كنت فين ومجتش ليه من يوم الأربع

- مكنتش فاضي الصراحة يا فندم

- نعم

- قصدى كنت مش قادرآجي يا فندم وقولت لمريم تبلغ حضرتك

- وقافل موبايلك ليه كمان

- حبيت أفصل نفسي شويه

- بجد طيب إتفضل، تكون عندي بعد ثانية من دلوقتي بدل ما أفصلك أنا

-طيب إعمل حساب المواصلات حتى، ثانية إيه بس

أنهى جملته وهو يسمع صوت تيت تيت تيت فمجدي قد أغلق الهاتف ولم يستمع لآخر جملة غالبًا، تنهد وهو ينهض من مكانه متجهًا إلى الباب ويقول بداخله «شكله يوم باين من أوله»، عندما خرج وجد هند فى مواجهته تجلس بشكل مرتبك كأنها تخشى خروجه فهى تعرف ماذا فعلت فاتجه إليها قائلًا

- هروح للباشمهندس مجدي علشان كلمني مش عارف لحق يعرف إنى جيت إزاي

لم تعلق سوى بابتسامة فتابع كلامه قائلا مفيش حاجة بتستخبى.. المهم جهزي

أنتِ الورق بقى لحد م أجي

فأجابت: حاضر

تركها وانصرف متجهًا إلى مكتب مجدي وهو يفكر طوال الطريق فى الأصوات التى سترتفع بعد قليل والنقاش الحاد الذي سيبدأ، حتى وصل عند السكرتيرة التي أخبرته قائلة

- اتفضل الباشمهندس في انتظارك

فاتجه إلى باب المكتب قائلًا: هو هيخطفني ولا إيه

وقبل أن يدق الباب وقف يلتقط بعض الأنفاس ثم دق بنغم فعلم مجدي أنه فقال

- ادخل يا حبيبي.. هو أنا قولتلك ثانية ولا ساعة

- أنا حاولت أوضح لحضرتك إن ثانية مش هتنفع بس حضرتك كنت مستعجل وقفلت

- كنت فين يا رامي من يوم الأربع، مختفي ليه كل دا؟

- يافندم كان لازم أفصل نفسي شويه وأرتاح بعد اللى حصل.

- وحضرتك بقى ناوى ترجع إمتى ولا نقفلها.

- يافندم ليه حضرتك بتحسسنى إنى بتدلع مع إنك عارف اللى حصل كويس وعارف إن فى جريمه قتل ومعرفناش مين اللي عملها!!

- أنا معاك يا رامي وشايف إن عندك حق لكن كمان أنت عارف ان الكومباوند دا يخص أكبر تلت رجال أعمال فى البلد ولازم تسليمه فى المعاد أو قبل المعاد كمان.

- بس إزاى؟!!

- أنت مش متخيل التليفونات نازلة عليَّ إزاى علشان أسلم بدري قبل ما ريحة الموضوع تفوح عن كدا والناس اللى حاجزة معاهم يعرفوا ويعملوا مشاكل وكمان أنت عارف إن شركتنا ماسكة خمس عمارات بس فى الكومباوند ودي أقل حصة

بين الشركات ومن السهل جدا إنهم يستغنوا عننا.

- يعنى هما فعلا هيكملوا المشروع وهيسلموا بعد العمال اللى اتقتلوا فى المكان والقضيه اللي لسه شغالة والمعدات اللي اختفت يا فندم كل اللي بات من عندنا في المكان دا مات وافتكر دا كفيل إننا نوقف شغل.. على الأقل لحد لما الحكايه تظهر ونعرف مين اللي عمل كدا بالظبط واشمعنا دا حصل عندنا إحنا بس والشركات التانية لأ.

- هو بمزاجنا نوقف الشغل وبمزاجنا نشغله وأديك قولتها بنفسك، حصل عندنا احنا بس يعنى الشركات التانية شغالة عادي ولا كأن فى جريمة قتل حصلت فى المكان ولا تفسر دا بإيه؟

- يعنى إيه، حضرتك تقصد إن حد منهم اللي عمل كدا؟؟

- ممكن، خصوصا إن منهم شركة حسين وأنت عارف المشاكل اللى حصلت بينا وبينه فى آخر مشروع دخلناه مع بعض

- أيوه بس الكلام اللى حضرتك بتقوله دا كبير أوي، يعنى حتى لو فى شركه منهم بينا وبينها عداوة زى شركة حسين ممكن يسرقوا آه معدات من عندنا يبوظوا حاجة، لكن الموضوع ميوصلش للقتل دى أرواح ناس ملهاش أى ذنب فى أى حاجة

-أنا مش متأكد من كلامي بردو عشان مظلمش حد، وهستنى أشوف الشرطة هتوصل لإيه بعد التحقيق والبصمات، انزل أنت الموقع بكرة كفايه غياب وهينزل معاك المهندس عبد الرحمن، خلينا نرجع نشتغل تاني، الشغل واقف من يوم الحادثة

- طيب...

- رامي، الكلام انتهى فى الموضوع ده، بكرة تكون فى الموقع وعبد الرحمن هيكون معاك وهيكون معاه عمال جداد

أحس النقاش غير مُجدي فهز رأسه موافقًا على الأوامر واتجه ليخرج من المكتب فإذا بأحمد أمامه وفي عينه نظرة فضول يعرفها تمامًا، ضحك وسرعان ما عاد إلى

حالته الطبيعية بمجرد أن رآه فهو الوحيد الذي يعيده لتلك الحالة سريعًا فتوجه إليه قائلًا

- طبعا أنت جاي تعرف اللي حصل

- دايمًا فاهمني كدا

- اتطمن، مش هيقطع عيشي بس مصمم يكمل شغل فى أسرع وقت دا حتى عاوز يسلم المشروع قبل المعاد كمان.

- اشمعنا؟

- بيقول إنه مضغوط من صحاب المشروع وإن مفيش في إيده حاجة.

- وأنت عاوز إيه، متكمل شغلك وخلاص، هو كدا كدا لازم يكمل.

- أنا بس عاوز نستنى لحد ما نعرف مين اللى قتل العمال وأعتقد دا حقهم علينا.. مش ننسى ونكمل شغلنا كأن شيئًا لم يكن كدا.

- محدش هينسى متقلقش، القضية شغالة، بس متنساش أنت شغلك وثقة الشركة فيك وتضيّع اللي بنيته.

- مش عارف بقى وبعدين أنا مش قُلتلك الصبح كفايه عليك كدا النهارده يا ابنى سيبني أروح أشوف حالي بقى

- ماشى يا عم روح، خاطب جديد بقى ولازم نوسعلك الطريق عقبالنا.

ضحك متجهًا إلى مكتب مريم خطيبته فوجدها منهمكةً فى العمل، ذهب إليها ضاحكًا

- صباح الخير.

- صباح النور يا رامي.

- دا نورك والله مركزة في إيه كل التركيز دا؟

- مفيش بحاول أخلص بدري شويه النهارده.

- اشمعنا؟

- ماما عاوزاني عشان نجيب شوية حاجات.

- إيه دا يعني مش هينفع نخرج مع بعض؟!

- للأسف لأ.. قولي عملت إيه مع مجدي، روحتله؟

- طبعا، دا أنا يادوب وصلت المكتب لقيت اللي بيتصل بيَّ.

- دا هند أداؤها بقى سريع أوي.

- آآآه شوفتي

- وعملت إيه معاه؟

- مفيش وصلنا إنى هنزل الشغل بكرة عادي جدا وأنا مكنتش عاوز كدا غير لما القضية تخلص.

- بس دا مينفعش لأن القضية هتطول ،والشغل واقف وفى شرط جزائي والكومباوند ملك ناس تقيلة في البلد لازم نسلم في المعاد.

- دا رأى أحمد كمان، عشان كدا هنزل بكرة متقلقيش مش هورط الشركة.

- صح كدا حافظ على مستقبلك.

- طيب بقولك إيه ما تسيبك من مجدي والشركة والقضية والكلام الفاضي دا وتقوليلي بقى مش هنخرج؟

- ليه؟

- دا سؤال حلو جدًا بس مش لاقي إجابة الصراحة ممكن عشان مخطوبين!

- مش شرط بردو.

- امممممم، مش شرط عندك حق.

- طيب م تيجى تتغدى معانا أحسن.. ماما عازماك على الغدا بكرة، زعلت مني عشان معرفتهاش اللي حصل والتحقيق وكل دا.

- ماشى هاجى اتغدى، وأتخيل إن إحنا قاعدين برا لوحدنا.

- ليه لوحدنا تخيل كمان إن ماما معانا.

- هاهاهاهاهاها، دا أنتِ مصمم' بقى.

- م هو كمان مينفعش نبقى لوحدنا.

- أقابلك بكرة يا مريم على الغدا أنتِ وماما.

- هاهاهاهاها هنستناك، رايح فين دلوقتي؟

- مفيش هرجع مكتبي أشوف شوية ورق وحاجات متأخرة أخلصها بدل الوقفة دى.

- ماشي أشوفك بكرة، سلام.

- سلام.

اتجه إلى مكتبه وهو يفكر في رفض مريم للخروج معه، يعلم أنها على صواب ويحب فيها حياءها هذا لكنه أيضًا يريد التقرب منها أكثر فهي حبيبته وستصبح شريكة حياته قريبًا.

فى مساء يوم الأربعاء 8/24

رامي يجلس في قسم الشرطة في 6 أكتوبر في الانتظار إلى أن يُسمح له بالدخول لأداء شهادته وهو في أقصى حالات الإرهاق يفكر في مشهد العمال المفزع على الأرض جثث هامدة لا قوة لها لا يصدق أن ما حدث كان على أرض الواقع، فجاءه صوت أحد العساكر ليقطع أفكاره بقوله

- باشمهندس رامى الظابط عماد عاوزك فى مكتبه.

انتبه إلى قوله ثم نهض من مجلسه متجهًا إلى المكتب خلف العسكرى ليدخل على قول عماد

- اتفضل يا باشمهندس رامى.

- شكرًا يا فندم.

- تحب تشرب حاجة.

- لا لا شكرًا.

- طيب احكيلي شوية عن اللى حصل امبارح معاكم فى الموقع والنهارده لما وصلت الصبح.

- إمبارح محصلش أى حاجة غريبة تمامًا بالعكس إحنا كنا لسّه بنبتدي في الشغل وبنحط أول أساسات بعد أسبوع من التنظيم عشان نبدأ.

- طيب والنهارده؟

- أنا روحت الصبح الموقع لقيت الباشمهندس عبد الرحمن كان لسّه واصل معايا تقريبًا لأنه كان بيرن عليَّ أول لما شاف المشهد وأنا في الوقت دا كنت وراه، كانت حالته صعبة ومفزوع جدًا من منظر الخمس عمال وهما ميتين على الأرض هدّيته شوية وحاولت أتماسك وكلمتكم فورًا.

- مفيش أى حد تاني كان موجود في المكان غيركم؟

- في مكان شغلنا لأ مفيش، لكن في باقي الكومباوند أكيد كان فيه.

- زى مين؟

- حضرتك أنا معرفش مين بالظبط لأن الكومباوند كبير والمسئول عنه خمس شركات إحنا واحدة منهم، يعني في أربع شركات تانيين معانا في المكان.

- طيب العمال متعودين يباتوا في المكان؟

- لا دي كانت أول مرة تحصل.

- اشمعنا؟

- عشان إحنا لسّه مستلمين المشروع وكل الفترة اللي فاتت كانت تجهيزات.

- تمام شكرًا ليك يا باشمهندس اتفضل حضرتك وأي جديد بلغني بيه فورًا وإحنا كمان هنستنى رد الطب الشرعي علينا.

- العفو يا فندم.

خرج من قسم الشرطة في اتجاهه إلى منزله وقد قرر أخد إجازة لمدة ثلاثه أيام بلا عمل دون مقابلة أو تحدث إلى أحد سوى مريم الوحيده التى لا تخضع لهذا القرار

بعد أن وصل إلى المنزل وبدل ملابسه، اتجه إلى سريره رافعًا هاتفه يضغط رقم مريم ليأتيه صوتها

- ألو..

- مريم إزيك؟

- الحمد لله يا رامي، مال صوتك؟

- تعبان جدًا.

- مالك، متقابلناش النهارده فى الشركة خالص.

- بتفكريني بيها ليه، أنا عاوز أنسى كل حاجه عنها وأنسى إنى مهندس أصلًا.

- ليه كل دا إيه اللي حصل وخلاك اختفيت، كنت فاكرة هنتقابل بعد الموقع.

- كنت هاجي فعلًا بس أنا مكنتش في الموقع من الصبح أصلًا.

- أُمال كنت فين؟

- في القسم.

-قسم !!!!! ليه إيه اللى حصل؟

- حصل عندنا في الموقع جريمة قتل لخمس عمال من شركتنا، أنتِ معرفتيش ولا إيه؟

- لا معرفتش، ودا حصل إزاى؟، آآآه عشان كدا كان فى حركة غريبة النهارده.

- هحكيلك أهو بس عاوزك الأول تعرفي إنى هقفل موبايلي اليومين دول وهبقى أفتحه بس عشان أكلمك وابقي افتكري بكرة تقولى للباشمهندش مجدي إنى مش هاجي اليومين دول.

- ماشي هبلغه.

- تمام كدا اسمعي بقى يا ستي.

قص عليها ما حدث بكل تفاصيله، ثم أنهى المكالمة سريعًا متفقًا معها على موعد آخر للاتصال

يوم الاثنين 8/29

اتجه رامي إلى موقع العمل بعد غياب وجد كل شيء كما تركه يوم الحادث كأن العمل ينتظر قدومه ليبدأ وعبد الرحمن واقف بين العمال يستعد ليعيد للعمل نشاطه بدقة واضحة فاتجه إليه قائلًا

- صباح الخير يا عبده.

ابتسم عبد الرحمن بعد سماع صوته قائلًا

- صباح الخير يا ريري.

ضحك رامي

- ريري لا دا أنت بقيت تمام جدًا ونسيت الجثث اللي ماتُم خلاص.

- ليه بس بتفكرني كنت نسيت وبدأت أتحسن.

- طيب قولي أخبار الشغل إيه؟

- زى ما أنت شايف بفكرأبدأ الشغل في تلت عمارات وشوية كدا وهنبدأ فى الاتنين التانين.

- طيب ليه كدا الشغل الصح إننا نبدأ فى الخمسة مع بعض عشان نخلص.

- افهمني بس دلوقتي بعد الحاجات اللي اختفت من عندنا أو اتسرقت يعني، مش هنعرف نعمل دا إحنا يادوب نبدأ شغل في تلاتة لحد بس ما نحل المشكلة دي ونجيب معدات ونكمل.

- أنا بس أقصد أن خمس عمارات مش عدد بين كل الشركات التانية.

- أديك قولت مِش عدد عشان كدا إحنا أكتر شركة فيهم عندها وقت وكدا كدا هنخلص قبلهم فَهنكمل شغل فى تلت عمارات ونطلع بيهم ومتقلقش مش هنتأخر على العمارتين التانيين.

- ماشي عاوزين نطلب الشركة يبعتولنا رمل وزلط وأسمنت بدل اللي اتسرقوا عشان ننجز.

- قُلتلهم فعلًا على النواقص ولما تيجي هنعرف نطلع بالعمارتين الباقيين ونخلص.

- والله أنا بحلم أخلص المشروع دا عشان أمشى من المكان خالص.

- كل حاجة بتخلص يا صاحبي.

- على رأيك، قولي بقى متعرفش أى حاجة جديدة عن القضية.

- اللى وصلي أن تقرير الطب الشرعي أثبت إن العمال ماتُم نتيجة نقص في الأُكسجين.

- يعنى مخنوقين.

- بالظبط، بس الغريبة إن مفيش علامات لخنق على رقبة أى حد فيهم والأغرب إن مفيش ولا حتى خدش صغير في أى مكان فى الجسم يدل على مقاومة أو دفاع عن النفس.

- مش شرط يبقى فى علامة على الرقبة هما مش مشنوقين يعني، بس حكايه المقاومة دى هي اللي مش معقولة إزاي محدش فيهم حاول يدافع عن نفسه أو حتى غيره، ليه جيش هجم عليهم؟

- مش لدرجه جيش.

- طيب فسرها أنت.

- هو الموضوع كله فيه حاجة غريبة الحقيقة هما زي م يكونوا مخنوقين بمخدات أو على رأي الظابط الأكسجين قل في الجو ودا اللي أدى للوفاة.

- ظابط مين دا!، هو عشان مش عارفين يشوفوا شغلهم يقوموا يقولوا الهوا هو السبب.

- اهدى يا باشا مش كدا.

- م هي حاجة تجنن والله.

- عندك حق، على العموم لسّه الأمور هتبان.

- يا رب، يلا إحنا على شغلنا بقى.

اتجها معا إلى العمال ليشرفا على العمل من جديد، تعمد رامي تجنب النظر إلى مكان الحادث خلال يومه ليس خوفًا لكن رهبةً بداخله لما حدث فلم يتوقع رؤيته على أرض الواقع ويظن أن مكانه الوحيد هو الأفلام السنيمائيه، لكن ظنه هذا غير صحيح فالشر موجود في واقعنا بل يحيط بنا فى كل مكان، وطبيعتنا هي من تتحكم فى ظهوره لذا طبيعة رامي البريئة هي المسئولة عن تفكيره بهذه السذاجة.

بعد أن قلت حدة الشمس تذكر موعده على الغداء فكان عليه الانصراف، اتجه إلى عبد الرحمن ليخبره ذلك قائلًا

- طيب يا عبده أنا هسيبك معلش عشان معزوم على الغدا ولو احتاجت حاجة كلمني وأنا هاجي إن شاء الله بكرة من بدري.

- ماشي يا معلم إحنا أصلا بنشطب خلاص النهارده الناس تعبت جامد.

- حقهم بصراحة الجو موت جدًا.

- فعلًا، توكل أنت على الله وأنا هقفل وأمشى على طول.

- طيب سلام أنا بقى.

- سلام.

ذهب رامي ليخلع ملابس الموقع ثم أخذ سيارته متجهًا إلى منزل مريم وعندما وصل اتصل بها.

- ألو

- أيوه يا رامي أنت فين كل دا؟

- أنا على باب بيتكم.

رفعت حاجبها متعجبة وذهبت لتفتح قائلةً

- كان ممكن تضغط على الجرس أسهل على فكره.

- إيه دا هو شغال كنت فاكره بايظ.

ضحكت قائلة: لا هو بيكهرب بس

- شوفتي الحمد لله إنى اتصلت.

- طيب يلا ادخل.

كانت عفاف والدة مريم في استقبالهم، رحبت برامي أشد ترحيب ذلك لأنها الصديقة المقربة لأمه -رحمها الله- واعتبرت رامي ابنها بعد وفاة أمه وأبيه في حادث معًا والدليل الأكبر على هذا عندما تقدم إليها لطلب يد مريم فرحت ووافقت بلا تردد

- إزيك يا رامي يا ابنى؟

- الحمد لله واللهِ يا طنط.

- يا رب دايمًا يا حبيبي، يلا على طربيزة السفرة على طول ونتكلم بقى وإحنا بناكل.

اتجهوا جميعًا إلى الغداء حيث أكملت عفاف الحديث قائلةً

- خطيبتك لسّه حكيالي على اللي حصل، معلش يا ابني إنى مقصرة معاك.

- لا يا طنط متقوليش كدا.

- طيب قولي يا ابني محصلش معاكم أى حاجة غريبة يوم التلات قبل موت العمال، حاول تركز كدا يمكن تفتكر حاجة بعدما هديت.

عاد إلى الخلف فى محاوله منه أن يتذكر أي شيء غريب ثم نظر إليهم قائلًا

- مش فاكر إن في حاجة غريبة حصلت، يعنى مفيش حد هددنا مثلًا ولا حد من باقي الشركات اتكلم معانا أصلًا، في حاجة واحدة بس حصلت إن بعد المغرب كدا بشوية وإحنا بنكمل تجهيزاتنا كل الإضاءة اللى عملناها ارتعشت وفضل النور يروح ويجي كدا لمدة دقيقة أو اتنين وافتكرنا إن في حد هو اللي لعب في الإضاءة وبعدين ملقناش حد والنور رجع عادي ولو اعتبرناه الحوار دا حاجة غريبة هيبقى مشهد رعب في فيلم في الخمسينات مثلًا.

نظرتا إليه ثم قالت عفاف ضاحكةً

هزر هزر، ربنا يحفظك يا ابني ويوفق الشرطة كدا وتعرف القاتل

- يا رب يا طنط.

إجابها وهو يتسآل في نفسه هل من الممكن أن يكون هناك علاقة؟ هل يوجد شيء غريب بالفعل أدى في البداية إلى تغير الإضاءة وبعدها إلى قتل العمال؟ هل يوجد يد خفية في الجريمة؟ وإذا كان هذا صحيح هل من الممكن أن تكون هذه اليد إحدى الشركات الأخرى..

عام 1990

- اصحى يا حمدي

- ليه بس يا وفاء هي الساعة بقت كام؟

- الساعة بقت عشرة كفاية كدا نوم.

- طيب سيبيني شوية كمان بس.

- لا خلاص مش هينفع يلا عشان نفطر وكمان عاوزه أقولك على حاجة مهمة.

- ماشي هقوم أهو اسبقيني أنتِ بس.

بعد نصف ساعة إضافية من النوم سلبها حمدي من الزمن فهي عادة عنده يحب اتباعها، يأخذ وقت إضافى بعد سماع صوت المنبة أو صوت زوجته وفاء وهي تقول «اصحى يا حمدي»، استيقظ وتوجه إلى الحمام ليأخد حمامًا دافئ وخرج لارتداء ملابسه الأنيقة وبعد أن انتهى اتجه إلى المرآة ليمشط شعره وهو يدندن أحد أغاني أم كلثوم التي يعشقها فهي تأخده إلى عالم آخرى، يرى إنها المعنى الحقيقي للصوت العذب وما ظهر بعدها من أصوات مجرد محاوله فاشلة لتعويض فراغ فراقها.. عاد إلى واقعه على صوت زوجته مرة أخرى.

- يا حمدي يلا بقى أنا جعانة.

- أنا جيت خلاص صباح الخير.

- صباح النور.. ناكل بقى ولا نستنى شوية ونخليها غدا مرة واحدة.

- لا غدا إيه دا يادوب أكل على الواقف وأنزل جري.

- لأ كُل على القاعد معلش النهارده عشان عاوزة أقولك حاجة مهمة.

- آه صح إيه هي الحاجة دي؟

- الجمعية قررت تكرمني في حفل مخصوص عشان مجهوداتي معاهم.

- واللهِ دا شيء جميل مبروك يا حبيبتي.

- الله يبارك فيك.

- بس هو امتى التكريم دا عشان آجى ولا أنا مش معزوم.

- كمان يومين كدا.. تقريبا يوم الخميس.

- لا يبقى فعلًا أنا مش معزوم.

- مش فاهمة!!!

- زي م أنتِ عارفة يا حبيبتب إن إحنا بنجهز لافتتاح فرع الشركة الجديد وكنا عاوزين نختار يوم خلال الأسبوع دا عشان نخلص وفعلًا لسّه امبارح بس اختارنا يوم الخميس وطبعنا ورق الدعوة بكدا.

- وبعدين؟!

- مش عارف بس اللى أعرفه إن النهارده الصبح الدعوات دي هتوصل للضيوف.

- طيب خلاص إحنا فيها، كلمهم ميوصلوش حاجة وابقوا اختاروا يوم تاني.

- أكلم مين بس صلِّ على النبي دا إحنا بقينا الظهر.

- يعنى إيه م هو مش معقول أروح أنا الجمعية وأقولهم آسفه جدًا المعاد دا مش مناسب جوزي شوفولي معاد تاني.

- ولا أنا معقول أروح لأي حد من الناس اللي وصلتلهم الدعوة زي وزير السياحة مثلًا وأقوله آسف جدًا رجعنا في كلامنا

- ودي تريقة بقى ولا إيه!

- لا أنا بوريكى إن التريقة مش هي الحل.. وعلى العموم خلاص أنا هنزل أروح الشركة وهحاول أحل الموضوع

لم تجد وفاء ردًا على كلامه فبطبيعتها تفضّل الصمت في المناقشات الطويلة معه خصوصًا بعد أن تأكدت من مكانته بقلبها فلم يعد يمثل لها فارقًا في الحياة لم

يعد حب حياتها الذي ضحت من أجله وواجهت الجميع، تعيش حياتها معه الآن بجمود واضح على تصرفاتها فاكتفت بابتسامه هادئة لإنهاء النقاش.

فتح هو باب الشقه متجهًا إلى عمله فاستقل الأسانسير للنزول وركب سيارته عائدًا إلى صوت أم كلثوم يرافقه في طريقه «عودت عيني على رؤياك وقلبي سلم ..» حتى وصل شركته الصفوة للطيران، اختار هذا الاسم تحديدا ليعبر عن علاقته مع شريكه وصديق عمره إبراهيم حيث كانت تربطهما علاقة صداقة مختلفة ومستمرة يغمرها مشاعرالحب والإخوه مع الصدق التام، فيعد إبراهيم صفوة أصدقائه

دخل ملقيًا السلام على كل من يقابله في طريقه إلى مكتب إبراهيم.

- صباح الخير.. إزيك يا عبير؟

- صباح النور إزى حضرتك يا أستاذ حمدي.. أستاذ إبراهيم مستني حضرتك من بدري اتفضل.

دخل ضاحكًا ليخفف من هول صديقه عليه بسبب تأخره فى يوم كهذا قائلًا

- يعنى ينفع التأخير دا كله يا أستاذ إبراهيم؟

- معلش أنا آسف مش هتتكرر تاني.

- أنا هعديهالك المرة دي بس عشان خاطر الافتتاح والفرع الجديد.

- طيب شكرًا يا باشا مش عارفين نودي جمايلك فين.. قولي بقى إيه اللي آخرك كل دا، أنا بستناك من بدري.

- وفاء مراتى يا سيدي طلعتلي بخناقة جديدة كدا.

- إيه خير؟

- مفيش فاجئتني النهارده إن الجمعية عملالها حفلة تكريم يوم الخميس وإن المفروض طبعًا أكون أنا أول الحاضرين ودا مش هينفع عشان الافتتاح، أنت عارف فوعدتها إنى هحاول أغير يوم الافتتاح بس دا يتوقف على الدعوات وصلت للناس ولا لا؟

-لا بجد حاجة تضحك يعني أنت جايلى الضهر تقولي وزعتوا الدعوات ولا لا.. دا إحنا وزعناها والناس حضرت والافتتاح خلص خلاص.

- كنت متأكد إنى هلحقك أمال أنا جاي بدري ليه؟

-آه طبعا .. طيب هتعمل إيه معاها دلوقتي؟

-هحاول أصالحها بأي هدية هي بتحب الحاجات دي وبعدين بيني وبينك الحمد لله إنها جت كدا أنا أصلًا مليش في الجمعيات واحتفالاتها، أصلا مش مقتنع بيهم.

- جبنالك إحنا الحل على طبق من فضة يعني.

- بالظبط كدا.. قولي بقى إيه آخر التجهيزات.

- غالبا كدا خلصنا كل التجهيزات من أول البوفية والديكور لحد المزيكة مش ناقص غير ننزل نجيب أنا وأنت بدلتين حلوين كدا.

- ليه حسستني فجاه إنها خطوبتك، مش هتنوي بقى يا عم أنت؟؟

- لا مش هنوي.. خطوبة إيه بس خلينا في المهم.

- وإيه هو المهم دا؟

- هتروح دلوقتي تعمل الإنترفيو مع الناس المتقدمة للشغل في الفرع الجديد.

- هما موجودين فين؟؟

- برا في الاستقبال وهتقابلهم في مكتبك.

- مش هتيجي تشوفهم معايا؟

-لا أنا قابلت شوية وفي ناس كويسة فعلًا شوف أنت الباقي بقى وهنزل أنا أروح مشوار كدا وهاجي تاني؟

- خلاص ماشي لما تيجى ابقى عرفني.

-اتفقنا.. سلام

خرج إبراهيم من الشركة واستقل سيارته متجهًا إلى أحد المطاعم الكبيرة على

النيل في عجله من أمره يظن أنه تاخرعلى ميعاده، لكنه لم يجدها في انتظاره عندما وصل، كانت هي أيضًا قد تأخرت فجلس على طاولتهم المفضلة والقريبة من النيل ينظر إليه عن قرب يتأمل وجه حبيبته التي يشتاق إليها كثيرًا، بعد خمس دقائق شعر برائحتها تفوح في المكان فالتفت ليراها أمامه واقفة تتامل ما يفعل قائلة

- ايه كل دا.. سرحان في مين كدا؟

- فيكِ طبعا.

- كل دا عشان تأخير بس عشر دقايق تقريبًا.

- دول عدوا عليّ عمر بحاله.

- إيه رومانسية أفلام الأبيض وأسود دي؟

- أنا بس بقولك الحقيقة يا وفاء أنا بحبك فعلًا ومش قادر أتعود على بعدك ولا إنى أعدى يوم من غير ما أشوفك فيه أو حتى اسمع صوتك أنتِ بالنسبة ليا كل حاجة في حياتي أمي وأختي وصاحبتي وحبيبتي

- عارفة واللهِ بس هنعمل إيه؟

- اطلبى الطلاق من حمدي وتعالي نهرب ونتجوز.

- طيب وابني عمر كدا هيتدمر، هو قريب جدًا من أبوه ومش هيستحمل

- أنا كمان زي أبوه وهعوضه عن كل حاجة صدقيني.

- مصدقة بس ..

- صحيح مبروك على التكريم مقدمًا.

- إيه دا عرفت إزاي؟

- أنا متابع أخبارك ومقدرش أتأخر.

- هتيجي؟

- كان نفسي بس هاجي بصفتي مين بالظبط! أنتِ بس لو فكرتي في كلامي صح

إحنا الاتنين هنرتاح لما نبقي مع بعض دايمًا من غير خوف وساعتها هنظهر قدام الناس كلها عادي.

- قريب متقلقش.

- بقالك كتير بتقوليلي قريب.

- لا المرة دي بجد.. حياتى مع حمدي مش هينفع تكمل أكتر من كدا.

- أخيرًا فهمتي.

- أنا هقوم دلوقتي.. مش قادرة أتكلم.

- ليه بس استنى إحنا مشربناش حاجة.

- مش هينفع المرة دي.. كمان عشان أجيب عمر من المدرسة.

بعد اتفاقهما على ما يفوق تفكير حمدي فبعد ثقته العمياء بهم لن يتوقع خيانتهم أبدًا، عرض عليها أن يوصلها ولكنها رفضت «مفيش داعي همشي أنا عشان متأخرش» وافترقا كلًا منهما في طريقه.

وصل إبراهيم إلى الشركة مرة ثانية واتجه إلى مكتب حمدي ليجده جالس بمفرده

- إيه دا أنت خلصت المقابلات ولا إيه؟

- لسّه آخر حد كان دلوقتي.

- قولي بقى أخبار الشباب المتقدم إيه؟

- دول شباب زي الفل مش قادرأقولك.

- خلاص نتوكل على الله ونفتح الفرع الجديد وإحنا متطمنين.

- نتوكل على الله.

في صباح يوم الخميس اليوم المنتظر لافتتاح الفرع الجديد للشركة استيقظ حمدي بدون أي تنبيه من زوجته على غير العادة ليجدها في الصالة جالسة في ظلام تام يعلم إنها تشعر بالضيق منه فذهب ليجلس جوارها قائلًا

- صباح الخير.

- صباح النور.

- مالك كدا قاعدة في الضلمة؟

- طيب كويس إنك أخدت بالك.

- في إيه يا وفاء؟

- مفيش.

- مفيش إزاي بس أنت مش شايفة أنت عاملة إيه وبتكلميني إزاي؟

- بكلمك عادي يعني

- طيب مش هنفطر؟

- هحضرلك الفطار أنا مش جعانة.

- كل دا ليه يعني ما أنتِ عارفة إن الموضوع مش بإيدي الموضوع صدفة.

- صدفه!!

- أيوه صدفة إن تكريمك يبقي في نفس يوم الافتتاح أعمل إيه أنا.

- كان ممكن تعمل حاجه كان ممكن تغير اليوم لإنك ببساطة صاحب الشركة يعني الموضوع كله في إيدك لكن أنا موقفي مختلف الجمعية هي اللي بتحدد مواعيد الاحتفالات بتاعتها وأنا مقدرش أعمل حاجة

- خلاص عندي حل إحنا نحتفل تاني بكره أنا وأنت بس مع بعض.

- نبقى نشوف الموضوع دا بعدين بقى، أنا هقوم دلوقتي عشان عندي حاجات كتير لسه هعملها

نظر إليها ولم ينطق، فلسانه تجمد في مكانه، كل ظنونه بأنها ستسعد بهدية قيمة وتغفر له عدم الحضور.. اختلفت، تصرفاتها توحى بعكس هذه الظنون، لكن ماذا يفعل ولم يعد بيده سوى التبرير لموقفه أو التزام الصمت، اتجه إلى الحمام

ليستعد للنزول فى أسرع وقت لمقابله إبراهيم وإحضار ما تبقى من تجهيزات الافتتاح.

استمرت أحداث اليوم في تسلسلها كما خُطط لها حتى المساء وعندما قاربت الساعه الثامنة، حمدي وصديقه إبراهيم يقفان فى الصدارة كل منهم في كامل أناقته لاستقبال الحضور من كبار رجال النفوذ ورجال الأعمال، ليبدأ حفلهم كما رتب له بدايةً بقص الشريط واستكمالا بالموسيقى والعشاء، الفرحة تطل من عيونهم والابتسامة تغمر وجوههم تأملًا لما يحدث، ها هم يحققون نجاحًا جديدًا يشهد عليه الحضور، يثبتون وجود شركتهم ليخلد اسمها دائمًا وأبدًا في هذا المجال.

استمر الحفل لساعات وقبل الانتهاء ذهب حمدي إلى صديقه قائلًا

- مبروك علينا يا صاحبي.

فالتفت إليه إبراهيم في فرحه.

- مبروك يا صديق عمري اليوم كان حلو أوي.

- جدًا.. دا اليوم اللي كنا بنستناه من زمان والحمد لله جه.

- الحمد لله.. عملت إيه مع مراتك.

- ولا حاجة.. بس هي المرة دي زعلانة ومتغيرة كدا.

- متغيرة! متغيرة إزاى يعني؟

- مش عارف أول مرة الهدايا وحاجات البنات دي متبقاش فارقة معاها مع إن دا كان تفكيرها.

- لازم تعرف إن مفيش حد بيفضل على حاله كلنا بنتغير.

- مش الكل بردو بيتغير.. ولو التغير على قد كره الهدايا فدا يبقى توفير.

-هاهاها، أهو يبقى جه بفايدة.

-بس بردو لازم أجيبلها هدية حلوة

- خلاص امشى أنت وأنا هكمل مع الناس.

- مش عاوز بس أسيبك لوحدك.

- يا عم عادي.. الناس بدأت تمشي أصلًا.

- خلاص ماشي.. أشوفك بكرة.

- اتفقنا.

اتجه حمدي إلى سيارته متخذًا طريقه إلى المنزل، فتح باب الشقة ليجد وفاء في مواجهته، استعد نفسيًا للسيطرة على أعصابه قائلًا بابتسامة مشرقة.

- مش عارف أقول بس كام مبروك على التكريم الجميل دا.

نظرت إليه نظرة استنكار لتجيبه بدورها.

- دا على أساس أن فارق معاك أنا بنجز إيه في حياتي أو بعمل إيه أصلًا.

عضّ على شفتيه قائلًا بهدوء

- ما أنا قولتلك إن النهارده يوم فارق جدًا في شغلي وإن الافتتاح دا كان فيه ناس مهمة وكان لازم أكون موجود المشكلة بس إن يوم تكريمك جه في نفس اليوم.

إجابته بنفس نظرتها.

- بجد واللهِ يعني حتى مكنتش تعرف تيجي نص ساعة؟

أدرك ضرورة إنهاء النقاش قبل أن يحتدم.

- خلاص يا حبيبتى والله أنا آسف وأوعدك المرة الجاية هكون أول حد موجود وكمان هديتك بكرة هتكون عندك عشان تعرفي إن مش الجمعية بس اللي بتكرمك أنا كمان بكرمك حضريلنا بقى حاجة حلوة ناكلها مع بعض.

لاحظت تهربه من الحوار فاتخذت الصمت طريقًا كالمعتاد.

دخل غرفته لتبديل ملابسه وبعد أن انتهى اتجه إلى المرآة لتظبيط شعره فوجد علبة صغيرة، عَلِم أنها إحدى الهدايا الخاصة بتكريم وفاء ولكن من الواضح أنها لم تفتحها بعد، ففتحها هو فضولًا منه ليجد بداخلها ساعه RADO حريمي موديل السنة وتحتها إمضاء « مبروك يا روحي.. إبراهيم «

ظن أنها من شقيقها فأغلقها كما كانت واتجه إليها وعلى وجهه علامات الجهل حتى لا تعلم أنه فتحها قبل أن تفعل هي قائلًا

- دا مش الجمعيه بس اللى جابتلك هدايا دا موسم دا ولا إيه... بس شكلها قيمة أوي دي.

تسارعت ضربات قلبها وأجابته بصوت يغلب عليه نبرات القلق والخوف.

- آه دي! دي من واحدة صاحبتي بمناسبه تكرميي.. عندك حق هي فعلًا غالية.

- آه فعلًا.

- مش هناكل بقى ولا إيه؟

- لا أنا خلاص مش عاوز، هدخل أنام بقى.

- طيب تصبح على خير.

- وأنتِ من أهله.

اتجه إلى سريره متعجبًا من ردها المتوتر ولكن في صمت تام دون أن يفصح لها عن ذلك وأخذت الأسئله تتوارد إلى ذهنه لا يعرف من أين تأتي ولكنه يريد لها إجابة، يريد أن يعرف لماذا لم تفصح بالحقيقة لماذا نسبتها إلى إحدى صديقاتها ولم تنسبها إلى شقيقها، ما الغريب في أن تكون هذه الهدية من شقيقها في الأساس، أخذ يتذكر شكل التوقيع الذي شاهده لعل الخطأ يكون من عنده لعله خطأ في قراءته للاسم ولكنه لم يتذكر سوى اسم إبراهيم مكتوب بطريقه مميزة وهنا توقف عن الحركة وتوقف عقله عن كل شيء ولم يتبقَ بداخله سوى صورة التوقيع الذي شاهده بداخل الهدية متذكرًا أنه أيضا التوقيع الذي يشاهده على الأوراق المهمه بالشركة يستقرإلى جانب توقيعه، حاول أن يعود إلى الواقع من غفلته هذه فحرك رأسه يمينًا ويسارًا لعل عقله يخمد كالبركان ويكف عن بث هذه الأفكار بداخله ولكنه تأخر فقد تسربت الشكوك إلى قلبه وازدادت الأسئله رويدًا إلى عقله فازداد هو حيرة من أمره فربما يكون شكه هذا صحيح ويكون تفسيرًا منطقيًا لنبره صوت وفاء التي ارتجفت ولادعائها الكاذب بأن الهدية من إحدى صديقاتها ولكن كل هذه الافتراضات ليست بالدليل الكافي عليها فالقضيه

هنا قضيه شرف..

لم يستطع حمدي معاملة وفاء بعد هذا اليوم سوى بأسلوب يصاحبه الشك، هي من وضعت نفسها في هذا الموقف وهو مجبر على هذه المعاملة طبيعته الرجولية تجبره عليها، لذلك استمر في مراقبتها هي وصديقه إبراهيم لمدة أسبوعين لا يعرف كيف استمر كل هذه المدة؟ ومتى سيتوقف؟ لكن شيء ما بداخله يدفعه، نصف عقله يوافق هذه الأفكار وينميها والنصف الآخر يرفضها وبشده، لكنه لم يجد شيء يدينهم بشكل صريح، ومع ذلك مازال مستمرًا حتى أنه قرر أن يعبث في أغراضها قليلًا لعله يجد شيئًا يوكد شكوكه أو يمحيها وأيضًا ليأخذ الدليل الوحيد على هذه الشكوك «الساعة»، لكن كان عليه أن يختار الوقت المناسب، الوقت الذى يضمن فيه عدم تواجدها فقد بدأت تنتبه لمعاملته المتغيرة وأسلوبه الحاد في الحديث، أخذ يفكر حتى قرر أن يوهمها غدًا بذهابه إلى العمل ويعود بعد أن تكون قد رحلت هي لإيصال ابنهم عمر إلى مدرسته.

بالفعل ظل حمدي طوال الليل يراجع فكرته هذه ويتوقع ما سيجده بين أغراض وفاء حتى أنه لم يستطع النوم من زحمة أفكاره إلى أن أشرقت الشمس واستيقظت وفاء على صوت المنبه فتصنع هو الآخر استيقاظه من النوم معها ونهض ليستعد للنزول إلى عمله دون أن يوجه لها كلمة واحدة مما جعلها تتأكد من تغير معاملته، وبعد أن انتهى من ارتداء ملابسه وتناول الفطور كانت هي وعمر في مراحل استعدادهم الأخيرة للنزول فتوجه إلى باب الشقة قائلًا

-أنا نازل سلام.

وقبل أن ينتظرأي رد منهما، أغلق الباب خلفه متجهًا إلى المصعد ليهبط به إلى الأسفل، أخذ سيارته في جوله حول المنزل ليتأكد من مرور وقت كاف لرحيلهم.. كان على غير عادته في عجلة من أمره، فضوله مشتعل ليعرف الحقيقة، يأمل بداخله ألا يجد شيئًا يدينهم، يأمل أن يكون ما وجده على الساعة من توقيع باسم إبراهيم يخص شقيقها وأن يكون إنكارها لهذا ليس بالإنكار ولكن مجرد تداخل بين الهدايا وأصحابها وأن تكون طريقه الكتابة مجرد تشابه في الخطوط ليس أكثر، دخل الشقة مسرعًا متجهًا إلى غرفة نومه ومنها إلى خزانة وفاء ليبحث بين ملابسها أولا، وجد في مواجهته الهدية التى تسببت فى كل هذا فتحها ليتأكد من

التوقيع مرة أخرى، ها هو كما حُفر فى ذهنه، أكمل البحث بين باقي الأغراض حتى عثرعلى رسائل عديده تحتوى على كلمات بأنواع مختلفة منها ما يدل على الحب والغزل ومنها أيضًا ما يدل على الأسف والاعتذار وبأسفل كل منها نفس التوقيع، انهار على الأرض وهو يتابع فتح الرسائل والتفتيش عن التوقيع بداخلها متأكدًا أن شكوكه في موضعها، الدم يغلي في عروقه وأصوات ترتفع من حوله تنادي بالانتقام لا يعرف مصدرها لكنها حركته بعد أن ظل على حالة الصدمة للحظات نهض مسرعًا ليعيد كل شيء كما كان عدا الهدية والرسائل أخدهما وخرج من البيت بنفس سرعته متجهًا إلى محاميه الخاص يريد أن يحفظ عنده هذه الأدله وكل ما يدور بداخله هو الانتقام ..

عرف السكرتيرة بنفسه وطلب منها مقابله الأستاذ محمد فأجابته قائلةً

- ثواني يا فندم هبلغ المتر وآجي لحضرتك.

واتجهت إلى المكتب لتخبره ولم يمر سوى دقائق حتى عادت قائلة

- اتفضل يا فندم في انتظارك.

أسرع إلى الداخل

- إزيك يا متر عاوزك في حاجة مستعجلة.

- تمام يا أستاذ حمدي اتفضل.

- بصراحة مش عارف أتكلم إزاي!

- قول اللي أنت عاوزه وأنا بسمعك.

- طيب الأول عاوزك تعين الساعة والجوابات دي عندك.

- إيه دول؟

- دول الدليل الوحيد على الموضوع اللي أنا جاي أقولهولك.

- وإيه هو الموضوع؟

- هو من غير مقدمات.. أنا شاكك إن مراتي بتخوني مع صاحبى أو أنا اتأكدت

فعلًا من دا.

- طيب أنت قولي الموضوع كله وإحنا هنخلصه مع بعض بشكل قانوني.

- ماشي هجيلك بالليل وأقولك كل حاجة علشان عندي بس حاجة عاوز أعملها الأول.

- وأنا هكون في انتظارك في أى وقت.

- شكرًا يا متر.

- العفو.

استأذن حمدي، متجهاً إلى الشركة وكل ما يفكر به هو الانتقام يريد أن ينتقم بنفسه فالضربة قوية لا يمكنه استيعابها، إبراهيم ووفاء تحولا من صديقه الوحيد الذي يثق به ثقة عمياء وزوجته المخلصة له ولإبنه إلى شخص منافق وإنسانة لا تعرف معنى الوفاء لا يوجد بينها وبين اسمها رابط سوى شهادة ميلاد، لا يريد أن ينهي الموضوع بشكل قانوني كما اقترح عليه المحامي، فلن يستطيع القضاء إطفاء النار التي بداخله، انتقامه بيده هي الطريقة الوحيدة لإطفائها في اعتقاده.

عندما وصل أمام الشركة وقبل أن يخرج من سيارته شاهد إبراهيم مغادرًا، فقرر أن يتبع أثره إلى حيث يذهب وبالفعل انطلق خلفه لا يعرف إلى أين لكنه مستمر.

إبراهيم في هذا الوقت كان متجهًا إلى أحد المطاعم حيث تنتظره وفاء وعندما وصل أمامها تعجب من هيئتها فكانت تبدو محطمة وخائفة وقد طلبت منه هذه المقابلة لتخبره أن حمدي أصبح شخصًا آخر معها ففهمت أنه يعلم بخيانتها له لذا قررت أن تأخذ ابنها «عمر» وتسافر إلى أمريكا وذلك بعد ساعة واحدة، تتصرف مسرعة فهي لا تأمن الوقت.

بعد أن سمع قرارها إصابة الذهول حاول إقناعها بالبقاء ببعض الجمل والكلمات المتفرقة والتي تحمل معنى ينفي كل الشكوك والخوف بداخلها فكيف لحمدي أن يعلم ما بينهم؟ ومن أخبره بذلك؟ وكيف علم هذا الشخص؟ لكنها زادته ذهولًا قائلة

- الهدية بتاعتك.

- بتقولي إيه؟ أنهي هدية بالظبط.. مش فاهم.

- هقولك، الساعة اللي جبتهالي يوم تكريم الجمعية سبتها على التسريحة ونسيت أخبيها.. بعدها بشوية حمدي جه ودخل الأوضة ولقيته خارج وهي في إيده وبيسألني من مين الهدية دي

- نعم! بتقولى إيه؟ طيب وأنتِ رديتي إزاي؟

- اللي طمني وقتها إنها كانت مقفولة في إيده فقولتله إنها من واحدة صاحبتي.

- الحمد لله.. أمال إيه بقى؟

- بس أنا حاسة إنه كان فتحها وشاف اسمك جوا لأن من اليوم دا وهو متغير.

-يعنى دا تصرف تعمليه .. إزاي تسيبيها واضحة كدا زي الشمس قدامه؟؟

- مش عارفة

- يعني دي أول مرة أجيبلك هدية؟

- قولتلك مش عارفة إزاي نسيتها.. ياريتني كنت قولتله دي من إبراهيم أخويا وخلاص وأهو حتى لو كان فتحها وشاف التوقيع كان هيبقى عادي.

- ومقولتيش كدا ليه؟

- الموقف كان فجأة، أول ما شوفت العلبة معاه اتلغبطت ومعرفتش أجمع أى كلام.

- طب والعمل دلوقتي؟

- لازم أسافر وأفتح صفحة جديدة

- طيب وأنا؟

- أنت عارف إنى كنت هسيب حمدي سواء دلوقتي أو بعدين فمش فارقة بقى.

- أيوه عارف بس كنت عاوزك تسيبيه عشان نبقى مع بعض مش تسيبيه وتسبيني معاه وتمشي خالص.

- م هو أكيد مش هسيبه وأفضل موجودة في مصر.. لازم أمشي وهستناك.

وجد إبراهيم أن النهاية المحتومة لهذا النقاش هي الموافقة وتقبل الأمر الواقع فقد أخذت قرارها ولن تتراجع فيه، ودعها بحرارة وخرجا معاً ليركب كل منهما سيارته ويتحرك فى طريقه متعاهدين على اللقاء سريعًا.

كان حمدي مستقرًا داخل سيارته أمام المطعم لم يدخل خلف صديقه حتى لا يلاحظه أحد، عندما شاهدهم معاً شعر بالحسرة والأسى وسيطرت عليه الرغبة في الانتقام أكثر فأكثر فقرر أن ينال من إبراهيم أولا ثم يعود إلى وفاء لينتقم لشرفه منها، لكنه لم يكن يعلم أنها المره الأخيرة التي يراها، لم يكن يدري شيئًا عن خطتها للسفر وأنها ستتجه إلى المطار بعد قليل، أكمل طريقه خلف إبراهيم حتى استقرا أمام الشركة.

عند المدخل بينما كان إبراهيم شاردًا لا يشعر بمن حوله ولا بحمدي خلفه منذ أن خرج حتى عاد كان حمدي قد فقد السيطرة على أعصابه أكثر مما كان عليه فأخرج مسدسه وقال بأعلى صوت «إبراهيم» فالتفت إليه في فزع ليجد رصاصه فى قلبه ليكن آخر ما يسمع هو صوت حمدي يقول «مفيش حاجه اسمها أصحاب»

سقط على الأرض جثة هامدة لا حول لها ولا قوة أما حمدي فقد أصابه حالة من الجنون يكرر جملته الأخيرة إلى أن وصل إلى قسم الشرطة وأثناء التحقيق، لم يستطع الظابط فعل شيء سوى تحويله إلى النيابة فالقضية أمامه كاملة قضية قتل عمد والأداة موجودة والشهود ينقصها اعتراف القاتل بدافعه..

سريعا ما عُرض على النيابه حيث توجه إليه وكيل النيابه الأستاذ أمجد قائلًا

- أستاذ حمدي أنت متهم بقتل الأستاذ إبراهيم فتح الله قتل عمد وسكوتك أو تكرارك للكلام اللى بتقوله دا مش هيحميك من التهمة .. أستاذ حمدي أنت سامعني؟

لم يعبأ بما قال أو لم يسمع من الأساس فظل على نفس حالته ينظر إلى الأرض ويكرر «مفيش حاجه اسمها صحاب «

في نفس الوقت الذي تأكد فيه أمجد أن محاولاته في إخضاع حمدي إلى الخروج من هذه الحالة قد فشلت كان الأستاذ محمد قد تقدم إليه طالبًا أداء شهادته

وعندما سمح له بذلك توجه قائلًا

- مع حضرتك محمد إسماعيل عبد الفتاح المحامي الخاص بالأستاذ حمدي.

- أهلا.. بس أنت بتقول إنك هتقول شهادة.

- فعلا يا فندم، أنا جاي عشان أعرف حضرتك إن موكلي الأستاذ حمدي كان عندى قبل الحادث بساعات وكان جايب معاه دليل إدانه على زوجته اتفضل يا فندم دي هدية كانت من المجني عليه إبراهيم إلى زوجة موكلي قبل يوم الحادث بأسبوعين وبداخلها إمضاء من المجني عليه «مبروك يا روحي ... إبراهيم» وكمان دول جوابات موكلي لقاهم في أغراض زوجته فيها زي كلام حب واتفاق على مقابلات وخروجات وحضرتك ممكن تتأكد من دا بنفسك من منزل المجني عليه أكيد هيكون عنده جوابات كمان وأحب أؤكد لحضرتك إن زوجة موكلي الآن هاربة في أمريكا هي وابنها عمر وإن كمان دا اللي وصل موكلي للحالة اللي هو فيها دلوقتي خصوصًا إن المجني عليه كان صديق مقرب ليه وبكدا نرجوا من سيادتكم التعامل مع القضية كقضية شرف.

بعد أن سمع أمجد شهادة المحامي قرر تأجيل الجلسة ليعرض المتهم على أحد أطباء النفس والذي أكد في تقريره أن حمدي مصاب باضطراب نفسي وغير مدرك لما يقول ولا لما فعل وكل هذا نتيجه لشيء ما فعله صديقه أدى إلى القتل وتكرار هذا الكلام وهو الآن غير مؤهل للتحقيق معه ويجب تحويله إلى مستشفى العباسية ليخضع للعلاج، بعد أن قرأ أمجد هذا التقرير لحالة حمدي أنهى الجلسة الثانية لهذه القضية بإعفاء المتهم من العقوبة وإرساله إلى مشفى العباسية ليخضع للعلاج إلى أن يثبت بتقرير لجنة طبية شفاؤه وأنه لم يعد خطرًا على السلامة العام

2016

رامي كعادته يستعد في الصباح الباكر لينزل موقع عمله في نشاط ٍ تام يريد تعويض غيابه عن العمل ومفاجأة مديره بنتائج مذهلة في أسرع وقت، ظل طوال الطريق يفكر في الحوار الذي دار بينه وبين عفاف والأسئلة التي وردت في عقله بعدها لكنه حاول إيقاف كل هذا ليستطيع أن يكمل عمله بدون أي خوف أو تردد، اتجه إلى الموقع مباشرة وعندما وصل وجد عبد الرحمن في مواجهته يشكو إليه نقص المعدات للمرة الثانية لا يدري ماذا يفعل وكيف سيبلغ الشركة بهذا فأجابه رامي

- أنت بتهرج في حاجات تانية اختفت؟!

- أيوه يا عم ومش عارف هنقول الكلام دا إزاي لمجدي

- وإحنا مالنا؟

- مش عارف.. بس خايف بردو.

- مش هما المفروض كانوا هيبعتوا النواقص النهارده باين؟

- أيوه والعربية اللي جيباهم جاية في الطريق دلوقتي.

- طيب نلحق نشتغل بيها النهارده قبل ما تتسرق هي كمان.

- يعنى بعد كدا نجيب زلطنا ورملنا وإحنا جايين ولا إيه؟

- هاهاهاها شكلها كدا أو نسيب حد معاها يحرصها.

- طيب ... وأدي قاعدة نستني العربية.

جلس رامي وعبد الرحمن يتبادلان أطراف الحديث في انتظار عربة النواقص، لم يمر سوى نصف ساعة حتى وصلت وأنزلت محتوياتها وأقبل العمال على تنظيمها ليبدأ العمل من جديد، استعادا نشاطهم للإشراف على العمل بشكل متواصل لم يقطعه سوى مكالمتين تلفونيتين، أما الأولى فكانت بين مجدي وعبد الرحمن ليخبره بالاختفاء الثاني قائلاً.

- إزي حضرتك يا باشمهندس

- أهلا يا عبد الرحمن إزيك

- والله يا باشا أنا تمام لكن ...

- لكن دي مش عجباني.. إيه اللي حصل تاني؟

- مفيش أنا جيت الصبح لقيت العمال قاعدين وبيقولوا إن كل حاجة اختفت.

- اختفت!! إزاى والعمال كانوا فين؟

- كانوا في بيتهم يا باشا.. مفيش حد بات هنا امبارح

- ليه يا عبد الرحمن، كان المفروض حد يبات يخلي باله من الشغل

- امبارح اشتغلنا كتير والناس تعبت جامد في خلصنا ومشينا المغرب.

- دا تهريج والله والعمال مشوا ليه.. أنتم بتشتغلوا بالراحة معتمدين إن إحنا أقل حصة بين الشركات ومعانا وقت أكتر بس الكلام دا مينفعش يا باشمهندس.

- بالعكس يا فندم إحنا شغالين كويس جدًا متقلقش.

- خلاص خلاص أنا هعدى الغلطة دي وهبعتلك كل النواقص تاني بس النهارده العمال يباتوا في الموقع وخليهم مركزين طول الليل وأنا هبلغ الظابط عماد بالكلام دا علشان يشوف حل.

- حاضر يا فندم .. مع السلامة.

- سلام.

أغلق الهاتف وهو يشعر بالأسف يشعر أن مجدي دائم اللوم لهم بذنب أو بدون.

والثاني بين رامي وخطيبته مريم لتسأله عن أحواله قائلة

- ألو.. إزيك يا رامي

- الحمد لله تمام، قاعد من الصبح في الموقع.

- ربنا يعينك، بقولك هو أنت حد طلبك تاني في القسم

-لا ليه ؟!

- أصلهم طلبونى النهارده علشان يسألوني عن سبب اختفائك بعد آخر مرة كنت هناك.

- اختفاء إيه.. دا أنا كنت قاعد في البيت

- غالبًا قصدهم إنك مجتش الشركة بعدها وكنت قافل موبايلك.

- عادي يعني الصدمة كانت صعبة.

- متقلقش أنا قولتلهم كل الكلام دا.. وإنى شاهده على دا وإنك كنت بتكلمني دايمًا.

- سايبين الموضوع الأساسى وبيفتشوا ورايا.

- سيبك دي حاجات روتينية

- عندك حق، المهم مش آن الأوان إننا نخرج لوحدنا بقى.

- ما إحنا بنتكلم لوحدنا أهو وأنت بتيجي البيت بنقعد لوحدنا بردو.

- أنا كنت مستني الرد دا على فكرة.

- هاهاهاها طيب يلا سلام بقى عندي شغل.

- ماشى يا مريم.. سلام.

أغلق الهاتف ليجد عبد الرحمن خلفه يحدثه عن الحوار الذي دار بينه وبين مجدي لكنه لم يكن يسمع ما يقول فقد كان في قمه السعادة، يفكر في تنفيذ خطوة أكبر اتجاه مريم خصوصًا بعد ردها الأخير هذا الذي أوجب التنفيذ فعليه الذهاب إلى بيتها ليطلب عقد قرانهم لتكون زوجته، ارتفع صوت عبد الرحمن أكثر وهو يقول

- أنت معايا.

فانتبه إليه

- طبعا معاك يا معلم بس عيد تاني كدا اللي بتقوله

- لا دا أنت كنت مركز جامد.

- مش بقولك معاك.

- يا ابنى بقولك إنى عرفت مجدي بالحاجات اللي اختفت تاني.

- كويس.. وقالك إيه؟

- قال إنه هيعديها المرة دي بس وعاوز العمال بعد كدا يباتوا في الموقع ويخلوا بالهم.

- خلاص يباتوا وربنا يعديها على خير.

- يعني أنت شايف كدا.

- أيوه

- طيب يلا نكمل شغل ولا هنقضيها سرحان ورغي في التليفونات.

-هو أنت مهنيني على حاجة؟

اتجها إلى العمل ليندمجوا مرة ثانية دون أن يقطعهم أى اتصال هذه المرة مستمرين حتى غروب الشمس ...

أراد رامي صنع كوبين من الشاي فذهب إلى مأواهم الوحيد، غرفة صغيرة بداخلها أماكن للنوم تستوعب العمال أثناء الليل ومنضدة عليها أدوات بدائية بسيطة تستخدم لصنع الشاي وأحيانا للقهوة، أشعل النار ووقف ينتظر الماء ليغلي ممسكًا بهاتفه يتنقل بين مواقع التواصل الاجتماعى ومنها إلى الكاميرا الأماميه ليشاهد منظره كيف أصبح بعد ساعات متواصة من العمل والاجهاد، بينما كان ينظر إلى عينيه المجهدتين ووجهه الشاحب شاهد شخصًا يقف خلفه يمسك سكيننا في يده فانتفض ونظر خلفه في رعب ليجد الغرفة فارغة من أى شخص سواه، تعالت أنفاسه، ثم رفع هاتفه مرة ثانية لينظر به وهو يدور في مكانه يبحث عن غيره في المكان لكنه لم يجد سواه في الشاشة، جلس محاولًا إقناع نفسه أن ما حدث

ضريبة الإجهاد ثم أكمل صنع الشاي سريعًا وهو يكرر

- يا رب أكون أنا اللي خرفت من كتر التعب مش المكان اللي فيه حاجة غلط.

خرج من الغرفه متجهًا إلى صديقه ليشربا الشاي معًا، بعدما انتهوا اتفقا على أن يكملا العمل غدًا، تركوا العمال في المكان بعد أن أوصوهم الوصايا العشر واتخد كلا منهم سيارته ليتجه إلى منزله.

وصل رامي أمام منزله في وقت قياسي، صعد وهو يسابق الزمن ليستحم ويبدل ملابسه في أسرع وقت ممكن ليذهب إلى مريم وأمها ويعرض عليهم قراره، كان حريصًا أن يرتدى أفضل ما عنده ويضع البرفان الذي تفضله مريم، سرعان ما انتهى، تحدث إلى مريم في طريقه ليخبرها قائلًا

- ألو إزيك يا مريم.

- الحمد لله كويسة

- صليتي العشاء؟

- الحمد لله، أنت مروح؟

-لا، أنا ربع ساعة كدا وافتحيلى الباب.

- إيه المفاجأة الحلوة دي؟

- دى أقل حاجة عندي.

- الكلمة دي ممكن تفصلني منك شهر مثلًا.

- لا لا، انسيها كأني مقولتش حاجة، لكن اوعي تفصلي دا مش وقته.

- ماشي نسيت، مستنياك بقى سلام.

أنهى معها وتوقف بجانب أحد محلات الورد ليشتري لها بوكيه بلونها المفضل اللون الأحمر.

وصل أمام باب شقتها، وقف ليضع اللمسات الأخيرة على شعره ثم ضغط الجرس، سمع خطواتها الهادئة تأتي من بعيد لتفتح له قائلةً

- دا إيه المواعيد المظبوطة دي، لا النهارده في حاجة مش طبيعية

- هو فعلا في حاجة، استنى بقى أما أديلك بوكيه الورد اللي ورا ضهري علشان الموقف يكمل، اتفضلي يا ستي.

- الله ورد ولونه أحمر كمان، اتفضل أُدخل بقى.

- متسيبينا مندمجين مع الموقف شوية.

- ماما مستنيانا في الصالون.

- ماما في الصالون لا يبقى لازم ندخل، اتفضلي كفاية رغي.

أغلقت الباب خلفهم واتجهوا إلى غرفة الصالون حيث كانت عفاف في انتظارهم ترحب برامي قائلةً

- إزيك يا رامي إزيك يا حبيبي؟

- الحمد لله إزي حضرتك يا طنط.

- تمام واللهِ.. إيه المفاجات الحلوة دي!

- شكرًا يا طنط.. الحقيقة أنا جاي علشان أطلب من حضرتك طلب.

- اتفضل يا حبيبي أنا تحت أمرك.

- ربنا يخليكي يا طنط.. أنا كنت عاوز كتب كتابى أنا ومريم يكون الأسبوع اللي جاي وعاوز أخد رأي حضرتك والعروسة كمان في الموضوع دا.

- والله يا حبيبي أنا معنديش أي مانع سواء تكتبوه دلوقتي أو تكتبوه مع الفرح كمان كام شهر.

- أنا فكرت كتير ولقيت أن مريم عندها حق في إننا مينفعش نخرج مع بعض لإننا مجرد مخطوبين ولقيت إن الحل الأمثل إننا نكتب الكتاب.. وعاوز أعرف رأيكم

- أنا موافقة ومبسوطة من قرارك... إيه رأيك يا مريومة.

- امممم.. موافقة بس عاوزه وقت.

- معاكِ لحد نهاية الأسبوع الجاي تمام كدا.

- تمام.. تشرب إيه بقى قبل م نتكلم في التفاصيل

- شربات.

- مش عاملين حسابنا للأسف.. في شاي يمشي.

- ماشي.

كانت علامات السعادة تظهر على نظراتهم وكلامهم أثناء الاتفاق على التفاصيل على أن يكون عقد القرآن يوم الجمعة في المسجد القريب من بيت مريم متفقين على دعوة المقربين من أقراب وأصدقاء، مر عليهم الوقت كدقائق حتى أصبحت الساعة الحادية عشر، علم رامي أنه تأخر على ميعاد نومه فنهض ليودعهم حتى لقاء آخر،

وصل منزله ولم يستغرق وقت ليغط في نوم عميق حتى الساعة التاسعة صباحًا، استيقظ على صوت هاتفه المرتفع كان عبد الرحمن هو المتصل، أدرك أنه قد تأخر في نومه فأجابه بندم قائلا

- أنا عارف إني متقّل عليك والله، آسف راحت عليا نومة.

- نومة إيه دلوقتي، أنا بكلمك أقولك إن اللي حصل للعمال قبل كدا اتكرر تاني، بس الفرق في طريقه القتل

- نعم!! بتقول إيه؟

- بقولك إنى روحت من ساعة كدا الموقع ولقيت نفس منظر الجثث على الأرض.

- بتتكلم بجد.

- أكيد طبعا.

- طيب يعني إيه الفرق في الطريقة.

- يعني المرة دي في دم والأداة المستخدمة سكينة.

- لاحول ولا قوه إلا بالله، طيب أنت فين أنت دلوقتي؟

- أنا في قسم الشرطة.

- خلاص نص ساعة وأكون عندك.

- ماشي مستنيك، مع السلامة.

- مع السلامة

عشر دقائق وأصبح داخل سيارته يسوق بسرعة جنونية فالصدمة قد افقدته صوابه لا يعلم ماذا أرتدي وكيف أصبح بداخلها

عندما وصل قسم الشرطة وجد عبد الرحمن في مواجهته وبجانبه مجدي فحاول أن يستفسر منهم أكتر لكن لم يجد أى جديد، قاطعهم أحد العساكر ليخبرهم بأن الظابط عماد في انتظار عبد الرحمن، الذي توجه إليه ملقيًا السلام

- السلام عليكم.

- وعليكم السلام إزيك يا باشمهندس.

- الحمد لله يا فندم.. زي ما أنت شايف.

- احكيلي بقى اللي حصل.

- هو بالظبط زي اللي حصل المرة اللي فاتت وصلت الموقع في معادي لقيت المنظر دا قدامي

- طيب اشمعنا حصل امبارح يعني علشان المرة اللي فاتت كمان كانت في يوم تلات.

- هو أعتقد أن اليوم ملوش أي علاقة يعني، لإن دي أول مرة العمال يباتوا فيها هناك من يوم الحادثة الأولى.

- يعني محدش بات هناك من يومها.

- أيوه يا فندم.. كانوا معترضين على البيات هناك بس امبارح لقينا حاجات ناقصة من عندنا أعتقد إن باشمهندش مجدي بلغ حضرتك بيها.

- قالي فعلا بس مقاليش حاجات زي إيه؟

- يعني رمل، أسمنت، حديد، حاجات خاصة بالشغل، المهم إن أستاذ مجدي المدير قال إنه عاوز العمال يباتوا بعد كدا علشان ياخدوا بالهم في فترة الليل في بعد ما خلصنا مشيت أنا ورامي والعمال فضلوا هناك.

- والباشمهندس رامي مجاش الشغل النهارده ليه؟

- هو راحت عليه نومه بس، لكن كان جاي عادي.

- طيب وروحتُم فين بعد ما مشيتُم امبارح.

- أنا روحت ومعرفش رامي راح فين بس غالبا روح هو كمان.

- طيب يا باشمهندس اتفضل أنت، وصل الباشمهندس يا ابنى ودخلي الباشمهندس رامي لو موجود.

خرج العسكري ومعه عبد الرحمن متجهًا إلى رامي ليخبره بدوره للدخول، استجاب إليه وتوجه معه إلى المكتب

- إزي حضرتك يا فندم.

- إزيك يا باشمهندس.

- الحمد لله.

- الباشمهندس عبد الرحمن قال إنكم مشيتُم إمبارح بعد ما خلصتُم شغل وسيبتُم العمال صح؟

- صح يا فندم.

- روحتُم فين ؟؟

- عبد الرحمن روح وأنا روحت غيرت ونزلت تاني روحت لخطيبتي في بيتها.

- طيب والنهارده منزلتش الشغل ليه؟

- أنا كنت هنزل عادي بس راحت عليَّ نومه لأني نمت إمبارح متأخر.

- طيب ملاحظتش أي حاجة متغيرة إمبارح.

- لا خالص مفيش.

- إيه السبب اللي خلى العمال يباتوا إمبارح بالتحديد.

- عادي لقينا حاجات اختفت تاني فقولنا إنهم يباتوا وياخدوا بالهم من الحاجة.

- قولتوا ولا الباشمهندس مجدي هو اللي قال؟

- الباشمهندس مجدي هو اللي اقترح فعلًا.

- وإيه السبب؟

- زي ما قولت لحضرتك لقينا حاجات اختفت تاني من عندنا.

- تمام يا باشمهندس القضية كدا فيها خيط ناقص وإحنا هنكمل تحريات ولو في أي جديد ياريت تبلغني بيه فورًا

- إن شاء الله يا فندم

خرج مقابلًا مجدي فقد حان دور دخوله إلى عماد الذي قابله بنظره اتهام واضحة لايعرف سببها ولكنه فسر الأمر عندما سأله

- باشمهندس مجدي أنا عرفت إن أنت كنت السبب في إن العمال يقضوا اليوم دا هناك وإن أنت اللي أصريت إنهم يباتوا رغم معارضة الجميع.

- أيوه دا فعلًا حصل.. بس دا علشان لازم حد ياخد باله من الشغل في فتره بالليل وأظن إن هي دي وظيفة العمال

- يعنى إيه سبب إصرارك؟

- سبق وبلغت حضرتك بالحاجات اللي نقصت، وكمان أنا إيه مصلحتى إنى أقتل العمال اللي شغالين عندى! ممكن علشان عاوز أدفع شوية تعويضات لأهاليهم؟!

- من فضلك تهدي.

- أنا بوضح موقفي مش أكتر.

- طيب أنت روحت الموقع إمبارح أو النهارده؟

- لا خالص.

- طيب يا باشمهندس تقدر تتفضل ولو في جديد بلغني بيه وأنا مش هاخد أي إجراء غير لما تقرير الطب الشرعي يوصل.

خرج وهو ينفر من أسلوب الاتهام الذي تحدث به عماد، لكنه التمس له العذر في ذلك فالقضية تزداد تعقيدًا بلا أدله تشير إلى طرف الخيط ومن الواضح أن القاتل محترف لا يترك خلفه بقعة تلوث جريمته النظيفة، وجد رامي وعبد الرحمن ينتظرانه فاتجه إليهم قائلًا

- يلا بينا يا شباب.

تحركوا خلفه ورامي يسأل

- في إيه يا ريس.. مالك خارج متغير ليه؟

- يلا علشان نروح نشوف هنعمل إيه في شغلنا.

- شغل إيه دلوقتي؟

- يعنى ايه!! رامي أنا مش هوقف الشغل دا أنا عاوز أخلص منه ومن الجرايم دي ولا أنت بقى عاجبك اللي إحنا فيه دا

- طيب ما نسيب المشروع خالص ونتنازل.

- والله لو هتدفع حضرتك الشرط الجزائي أنا معنديش مانع.

- طيب على الأقل النهارده مفيش شغل.

- أنا مش فاهم أنت مش عاوز تشتغل ليه؟

- الموضوع مش إن أنا مش عاوز أشتغل الموضوع إن لازم نعرف إيه اللي بيحصل الأول وبعد كدا نشتغل

- طيب وأنت هتعرف إزاي خلاص هتسيب الهندسة وتشتغل مع كونان؟

- يا مستر أنا بتكلم بجد إحنا ليه منحاولش نراقب المكان.

- ويعني العمال إحنا كنا سبناهم إمبارح ليه يا فالح مش علشان يراقبوا لو حاجة حصلت؟

- مش دا قصدي، ليه منسيبش حاجة تسجل اللي بيحصل زي مثلا نجيب كاميرا ونثبتها هناك تصورلنا كل اللي بيحصل في غيابنا.

- طيب مانعرض دا على عماد يمكن نساعده.

- بلاش.. تعالى نركبها النهارده قبل المغرب ونتابع اللي بيحصل وبعد كدا نقول لعماد.

- مش عارف ليه اقتنعت بكلامك وموافق.

- يعني نتوكل على الله؟

- نتوكل على الله .. أهو على الأقل لو حسين وشركته هما اللي ورا اللي بيحصل دا أكشفهم بسرعة

- اتفقنا هجيب كاميرا كويسة من مركز بتاع واحد صاحبي ونتقابل المغرب... هتيجي معانا يا عبده؟

- للأسف مش هعرف.. كان نفسي أشارك في التحقيق معاكم بس عندي مشوار.

- اتريق اتريق

- متقولش كدا يا رامي.. أنا مش بتريق أنا بشجع.

- مش حاسس بس ماشي.. هنروح إحنا النهارده ونبقى نقولك النتيجة بكرة

- معاكم ربنا.. أنا همشي أنا بقى سلام.

- ماشي سلام.. حضرتك هتمشي كمان يا مستر ولا إيه؟

- آه هروح الشركة وبعد كدا هروح الموقع وأستناك هناك على اتفاقنا.

-اتفقنا.. أشوفك هناك

اتخذ كل منهم سيارته في اتجاه معاكس للآخر، مجدي إلى الشركة ورامي إلى مركز صديقه عادل ليحضر الكاميرا المناسبة لتنفيذ فكرتهم، تحدث إليه أثناء الطريق ليسأله عن أحواله أولا ثم ليخبره بأنه في الطريق إليه، يحتاج إلى كاميرا تلزم لمراقبه موقع بناء وأخبره بكل التفاصيل الخاصة بالموضوع منذ الجريمة الأولى وحتى اللحظة الحالية، لم يجد منه سوى الترحيب والانتظار له.

عندما وصل وجده في مقابلته بابتسامته العريضة فاقترب منه أكثر قائلا

- دوله حضن مطارات بقى

- رامي والله زمان والله... فينك يا راجل!

- أنت عارف المشاغل بقى المهم أنت عامل إيه؟

- أنا الحمد لله زي ما أنت شايف.. أنت قولي أخبارك وأخبار الشغل اتجوزت ولا لسه؟

- خاطب دلوقتي والفرح قريب إن شاء الله أما بقى الشغل فهو زي ما قولتلك الموقع أتحول لمسرح جرايم.

- متقلقش إن شاء الله الموضوع هينتهي.. جهزت لك بقى كاميرا هتخلصلك كل حاجة.

- بجد؟

- بجد يا ابنى على ضمانتي الكاميرا دي بالذات.. وهاجي معاك أركبها لك كمان.... قولي في أوضة هناك ولا هو مكان واحد على بعضه علشان بس أعرف هتحتاج كام كاميرا؟

- تقريبا ممكن نحتاج اتنين.

- طيب هنروح إمتى؟

- كمان ساعة كدا.. وهيكون المدير بتاعي هناك

- يبقى نطلبلنا اتنين نسكافيه وندردش شوية وبعد كدا نقوم نروح.

- ماشي وخليه يزود السكر بقى.

جلسا معًا يتبادلان أطراف الحديث كل منهم يروي ما حدث له منذ آخر مرة التقيا، يحكي عن أحواله وإنجازات عمله، حتى أتى الموعد وتلقى رامي مكالمة من مجدي قطعت حديثهم، نهضا على إثرها ليتجهوا معًا إلى الموقع

مجدي يجلس في الموقع في انتظارهم يحاول ملاحظة أي شيء غريب، ينظر إلى المباني والغرفة الصغيرة، ينقل نظراته بين أماكن مختلفة، لكن بلا جدوى لا يوجد شيء يُلاحظ حتى سمع صوت أقدام تقترب من خلفه فالتفت في عجله من أمره كاد قلبه أن يقف في هذه اللحظة لكن سرعان ما استعاد هدوءه عندما وجد رامي وصديقه فارتفع صوته محدثًا إياه.

- إيه الذكاء دا يا بنى آدم.. مش عارف تعمل أي صوت وأنت جاي مش كفاية المكان المرعب دا.

- مكنش قصدي والله... وبعدين يا مستر متقلقش المكان دا مرعب بالليل بس لكن في وضح النهار كَدا اوعى تخاف منه

- ماشى يا فصيح... جبت الكاميرا؟

- جبت اتنين وجبت صاحبهم كمان أقدملك الباشمهندس عادل من أصدقاء الطفولة وصاحب المركز اللي جبت منه الكاميرات وأصر إن هو بنفسه اللي يجي يركبها.

ابتسم مجدي واتجه بنظره إلى عادل ليرحب به قائلًا

- أهلا بيك يا باشمهندس هنتعبك معانا والله.

- لا يا فندم لا تعب ولا حاجة.

- هنركبها فين بقى؟

- أنسب حل نركب واحدة في الأوضة الصغيرة دي وواحدة برا

- انا كمان شايف كدا .. بس المهم تكون في مكان كاشف.

- متقلقش .. تقريبا عرفت المكان دا فين خلاص.

- توكلنا على الله

بدأ عادل في أداء عمله، لم يستغرق الكثير من الوقت في تثبيت الكاميرا الخاصة بالغرفة ثم خرج ليضع الأخرى في المكان المناسب لها بالخارج لتبدأ التسجيل أيضًا، أخبر رامي بانتهائه وبدأوا في تشغيل الكاميرات على أحد البرامج المعدة خصيصًا لهذه الأغراض والموجود على هاتف رامي المحمول، سرعان ما اتصلت الكاميرات به وشاهدوا أنفسهم في شاشة الهاتف، علموا أنهم في أتم الاستعداد للتعرف على هوية القاتل فالقضية ستحل بكل سهولة خلال ساعات.

في نفس الوقت كان مجدي يشرف على العمال في تنظيم مواد البناء التي أحضرها من أجل المراقبة، انتهى هو أيضًا وأمر العمال بالرحيل متفقًا معهم على القدوم في الصباح الباكر لإكمال العمل، توجه إلى رامي الذي أخبره بانتهاء عادل من كل شيء وأن الأمور على ما يرام، فتوجه إلى عادل بجزيل الشكر على مجهوده وتعبه معهم،

هموا بالرحيل من الموقع ليستعدوا لمتابعة ما سيحدث وكأنهم ينتظرون أحد الأفلام السنيمائية الجديدة في عرضه الأول.

فى عام 1997

بعد مرور سبع سنوات على حمدي قضاها بمشفى العباسية بين أنواع مختلفة من مرضى النفس مال فيها إلى ما يقرب من الشفاء حتى سمحت له اللجنة الطبية بتقرير رسمي بالخروج من جديد ليواجه العالم مرة أخرى، عاد إلى بيت أمه عبير ليقيم معها بعد خروجه لأنه في فترة نقاهة يحتاج إلى عناية خاصة، ظل في أسبوعه الأول ليلة مثل نهاره يقضيه بين الغرفة والصالة في صمت يقطعه أحيانًا حوارات باهته مع أمه على غير عادته معها، كل ما كان يشعر به في هذه الفترة أنه يكره هذه الحياة التي أدت به إلى قضاء سبع أعوام من عمره في المشفى لا حول له ولا قوه يخضع إلى أنواع مختلفة من العلاج يرى أنها زادت حالته النفسية سوءًا بدلا من أن تعالجه،

المشفى هي أسوء أيام حياته التي نتجت عن أسوء ظروف مر بها، حاولت أمه أن تخرجه من هذه الحالة بشتى الطرق لكنها كانت تفشل في كل مرة ومع هذا لم تستسلم أبدًا لهذا الفشل فهي ترى ابنها الوحيد في أسوأ حالاته بعد صبرها كل هذه الأيام على فراقه تفصل بينهما بوابات المشفى أملًا منها أن يخرج من هناك كما كان قبل الحادث وكأن شيئًا لم يكن لكن خاب أملها بعض الشيء فقد خرج بالفعل لكن كأنه شخص آخر يختلف عن ابنها.

سلكت عبير معه أسلوب آخر في الحوار لعلها تنجح فأخذت تحفزه تجاه عمله وشركته التي ما زالت تعمل ولكن إن عاد هو لإدارتها ستصبح أفضل وإن عاد إلى مكتبه سيصبح هو أفضل، لاحظت أنه يستجيب بشكل تدريجي لكلامها فبدلًا من أن كانت هي دائمًا من يدير الحديث بينهما، هي من تسأل وتجيب من يروي ويتعجب أصبح هو أيضًا يشاركها وأن كان يشارك بكلمات طفيفة لكنه يشارك، ظلت على هذا الحال لفترة لم تكن هينه حتى جاءها في يوم يطلب رأيها في العودة إلى حياته العملية، أقبلت عليه وضمته إلى صدرها كادت لا تصدق ما تسمع، عقلها يتساءل هل هذا حمدي بالفعل أم أنها تحلم وقلبها يشكر الله عز وجل على هذا التغير الذي تتمنى استمراره، سرعان ما بدأ بالتنفيذ، رفع هاتفه متحدثًا إلى مدير أعماله فتحي ليعرف أحوال الشركة وما وصلت إليه حتى الآن

بعد أن انتهت الشراكة التي كانت بينه وبين ورثة إبراهيم.

- ألو إزيك يا فتحي.

- إزي حضرتك يا مستر حمدي، وحشنا صوتك والله أخبارك إيه؟

- أنا كويس الحمد لله أخبار الشغل إيه؟

- الشغل ماشي زي الفل والله من يوم ما نهينا الشراكة مع ورثة إبراهيم وأنا مسكت الشغل لحد لما حضرتك ترجعلنا بالسلامة تاني وكنت كل فترة بجيب الأرباح لخالتي عبير.

- أيوه هي قالتلي.. مش عارف أشكرك إزاي بس فعلا الدم عمره ما يبقى ميه

- أيوه طبعًا.

- أنا كنت بكلمك عشان أقولك إنى هنزل الشغل من بكرة

- تنور واللهِ .. وإن شاء الله كلنا هنكون في انتظارك

- طيب متنسوش تفرشوا الأرض ورد.

- ودى حاجة تتنسى بردو.

- ربنا يخليك يا فتحي... أشوفك بكرة إن شاء الله.

- إن شاء الله يا فندم ... مع السلامة.

-مع السلامه

أنهى المكالمة وقضى ليلته في التفكير في العمل والشركة ومكتبه وحياته التي يفتقدها.

أثناء ما كانت عبير تعد إفطارها الشهي، دخلت غرفه حمدي لتبدأ معركة إيقاظه يعلوا صوتها بالجملة التي افتقدتها لأعوام عديدة منذ أن تزوج هو «اصحى يا حمدى يا حبيبي هتتأخر على الشغل» لكنه استجاب في لحظات على غير عادته السابقة، فهذه المرة تختلف كثيرًا عن غيرها، هذه المرة سيذهب إلى عمله بعد اشتياق دام لسنوات، يشعر بإحساس الطفل في أول يوم دراسة بعد إجازة صيفية

طويلة، نهض من فراشه ليبدأ يومه بتقبيل يد أمه ثم اتجه إلى الحمام بخطوات تلقائية واثقة يستعيد روتين اليومي القديم.

تناول إفطاره وازدادت طاقته لاستقبال يومه الحافل، في طريقه تذكر أم كلثوم فهي من كانت تشاركه طريقه قديمًا، فتح الراديو ليجد أغنية ألف ليلة وليلة في منتصفها، أخذ يدندن معها إلى أن وصل أمام شركته، صف السيارة وظل ينظر إلى المبنى بعينيه كأنه يحتضنه ثم ابتسم في سعادة وأخذ نفسًا عميقًا، خطى أول خطوة اتجاه المدخل، كان الجميع في انتظاره يرحبون به وبعودته لهم وهو شارد عنهم ينظر في وجوههم يشعر بوجود وجوه جديدة حوله بالإضافه إلى التي يألفها، تأكد أن غيابه قد طال بالفعل

بعد أن انتهى من السلام والتهنئه توجه إلى المكتب مع فتحي لتبدأ رحلة اطلاعه على الكثير من الأوراق والحسابات والشيكات ليكون على دراية كافية بما توصلت إليه الشركة في وقتها الحالي

استمرت هذه الرحلة لمدة أسبوعين يعدهم أسبوعين من الماضي منهمك في العمل مما جعل ثقته بنفسه تزداد ولكنها لم تزد بمن حوله، ما زال عند موقفه يرى أنه لا توجد صداقة في هذا العالم يرى أن الناس مصالح حتى ابتسامتهم يتبعها غرض

******

- حمدي، اصحى يا حبيبي.

- صباح الخير يا أمي.

- صباح النور يا حبيبي.. أنت النهارده طولت أوي في النوم مش عوايدك.

- معلش يا أمي أنت عارفة بقالي كام يوم نومي وحش عشان أعرف أحصل اللي فاتني في الشغل وأرجع أمسكها من تاني

- والله أنا الموضوع دا مفرحني جدًا يا ابنى حسيت كدا إنك بدأت ترجع حمدي ابنى اللي أعرفه تاني

- ربنا يخليكى ليا يا أمي

- ويخليك يا حبيبي.. فوق بقى واجهز لشغلك وأنا هجهز الفطار وجبتلك الجرايد.

- حاضر.

قفز من سريره واستعد لعمله كامل الاستعداد، قرأ الجريدة وتناول فطوره مع أمه ثم ودعها بقبلة حنونة على كفها ذاهبًا إلى عمله.

انسجم مع أم كلثوم حتى وصل في تمام العاشرة صباحًا دخل ملقيًا التحية على كل من يقابله في بهجة واضحة على ملامحه متجهًا إلى مكتبه مقبلًا على العمل.

بعد ساعة رن هاتف مكتبه فرفعه ليجد صوت السكرتيرة.

- أستاذ حمدي.

-أيوه يا علياء.

- في واحد هنا عاوز يقابل حضرتك.

- مين دا؟

- بيقول اسمه إبراهيم.

قبل أن تكمل علياء الحرف الأخير أفلتت سماعه الهاتف من يده بغير قصد بغير ترتيب لكنها نتيجة طبيعية لتأثير وقوع الستة أحرف من ذلك الاسم الذي يعلم أنه لا محالة منتهيًا بحرف الميم لتكتمل حروفه وتكتمل معها أركان وتفاصيل تلك الجريمة التي وقعت من سبع سنوات، كان يظن أنها مدة كافية لنسيان ذلك الاسم ولكن مع أول شرارة عادت تلك النيران من جديد تحرق فكره وعقله بذكريات لم تستطع مشفى العباسية محوها حتى وإن ادعى هو ذلك

- أستاذ حمدي أستاذ حمدي

- في إيه يا علياء، أنتِ إزاي دخلتي المكتب من غير ما تخبطي وأنتِ عارفة إنى بكره الحركة دي؟؟؟

- أنا آسفه والله بس أنا كنت بكلم حضرتك وفجأه الصوت قطع وسمعت صوت

حاجة بتترزع في الأرض فقلقت

- خلاص عايزة إيه دلوقتي؟!

- بقول لحضرتك أستاذ إب..

- خلاص خلاص أستاذ زفت قوليله جاي.

لملم أوراق مكتبه سريعًا متجهًا خلف علياء تاركًا وراءه سماعة الهاتف ملقاةً على الأرض بجوار المكتب، خرجت هي من الباب سريعًا بينما هو يقدم خطوة ويأخر الأخرى كأنه متجهًا إلى عشماوي ليطيح برقبته على جريمته ولما لا، فكل شيء مباح في خيالاته في تلك اللحظة... يا رب م يطلع هو يا رب..

- بتقول حاجة يا أستاذ حمدي؟

- خليكي في حالك يا علياء.

دخل ذلك المكان الأنيق الذي لطالما حرص على ترتيبه وتنميقه لملاقاة ضيوفه ليجد شخصًا معطيًا له ظهره ينظر لساعة الحائط ليزيد الأمر صعوبه عليه ويترك العنان لخياله، لم يكتشف وجهه بعد وما زالت المخاوف تتصاعد وتتصاعد بداخل عقله ليلتفت الشخص فجأه مطلقًا ضحكة عالية يتبعها بـ

- يااااااااااااااه حمدي، الزمن بيجري يا ناس معقول كبرت وبقيت صاحب شركة طيران مرة واحدة

زفر حمدي نفسه بعد أن حبسه داخل قفصه الصدري لمده نصف دقيقة كاملة تقريبًا مبتسمًا ابتسامة الراحة والطمأنينة بعد أن تعرف على صاحب الوجه والصوت ..إبراهيم الخيال صديق الإعدادية.. صح دي دخلت في قلبه هيكون عايش إزاي يعني إيه التفكير دا بس؟!

- هي إيه دي يا عم اللي دخلت أنت بتقول إيه مش تاخدني بالحضن بعد السنين دي كلها.

- إيه الأخبار يا إبراهيم طمني بتشتغل إيه دلوقتي؟

- شريك في مصنع لمنتجات الألبان.

- ما شاء الله.

- اوعى تكون بتجيب جبن من برا.

- هاهاهاها م تدوقنا أنت حاجة.

- طبعا من عنيا.

- تسلم يا صاحبي، أخبار سارة جارتكم إيه اتجوزتمُ ولا لسّه

- يا عم اتجوزنا واطلقنا الله لا يعودها أيام مفيش أحسن من الحرية لكن الجواز والخلفة حاجة أستغفر الله .

لحظة من الصمت سيطرت على المكان بعد تلك الكلمة كأن هدوء المكان يريد من إبراهيم أن يعدل كلماته اللاذعة سريعًا، فاستجاب وانطلق مندفعًا انا اسف يا صحبى لم يفهم حمدي ما قاله فأجابه بـ إيه؟

- بقولك أنا آسف يا صاحبي.. مكنش قصدي أفكرك بحاجة، إحنا آه الجامعة فرقتنا بس أنا سألت عليك من خمس سنين وعرفت اللي حصل واستنيت أما تخرج آجى أشوفك عشان مبحبش المسشفيات م أنت عارف.

- ولا يهمك وبعدين بطل كلمة أنت عارف دي عشان أنا معرفش حاجة.

- معرفش أبطلها م أنت عارف.

ارتفع صوت ضحكهم حتى خرج من باب المكتب مستقرًا في أذن علياء لتردد «سبحان مغير الأحوال»

- المهم قولي يا إبراهيم أنت إيه اللي فكرك بيَّ وسيبك بقى من البوقين بتوع جيت اتطمن عليك والأسلوب دا

- هاهاهاهاها أنت ليه مش قادر تصدق إنها زيارة بريئة.

- عشان عارفك كويس أوي وعارف إنك عمرك متبقي بريء.

- مفيش يا سيدي أنا كنت عاوز أطلع رحلة سياحية حلوة كدا أغير جو فقولت مين غيرك ممكن يطلعني الرحلة دي... يعني يبقى صاحبي وحبيبي عنده شركة طيران

كبيرة وأنا أروح للغريب.

- أيوه قولي كدا.

- ما أنا بقولك أهو

- وعاوز تغير جو فين بقى؟

- عاوز أروح باريس

- حظك حلو عندنا رحلة لباريس كمان شهر.

- خلاص أنا معاك.

- تنور يا سيدي... ابقى عدي عليهم في الاستقبال وكمل معاهم الإجراءات وأعرف كل التفاصيل.

- خلاص وأنا خارج بقى هعمل كدا.. لكن قولي بقى أخبار طنط إيه؟

- كويسة الحمد لله.

- أنت قاعد معاها دلوقتي؟

- أيوه.

- تلاقيها فرحانة بيك.

- م خلاص يا عم كفاية رغي.

- واحشني يا راجل وبطمن عليك.

- يا سيدي أنا كويس.

- طيب الحمد لله... أسيبك أنا بقى وأعدى على الاستقبال بس لازم نتقابل كتير الفترة الجاية ونرجع أيام زمان.

- إن شاء الله.. نورت.

أعطى إبراهيم ظهره لحمدي بسعادة واختفى خلال ثوانٍ، لم يكن حمدي في

مثل هذه السعادة فقد كان يتذكر يومًا مر عليه سبعة أعوام، يوما يعد أسوأ أيام حياته، يتذكر لحظات قتله لمن كان يسمى صديقه يتذكر زوجته التي هربت بابنه وشكه الرهيب في نسب «عمر» إليه هل هو ابنه في الحقيقه؟ أم على الورق فقط ؟!، ظل يسترجع الماضي حتى تسارعت أنفاسه وشعر باختناق فاتجه بسرعة إلى مكتبه ليفتح أحد الإدراج ويخرج بخاخة التنفس، جلس على كرسيه وفي فمه البخاخة يتنفس بها لتعود أنفاسه كما كانت تدريجيًا، أسند رأسه إلى المكتب مستسلمًا للغوص في ذكرياته أكثر وأكثر بهدوء.

بعد نصف ساعة دق باب المكتب كانت علياء كالعادة، سمح لها بالدخول قائلًا

- اتفضلي

- معلش يا فندم فيه ورق مهم محتاج إمضاء سعادتك.

- طيب سبيه دلوقتي وابقي تعالي خديه كمان ساعة.

- حاضر يا فندم.. ممكن بس ترفع سماعة التليفون عشان واقعة على الأرض.

- ماشى يا علياء اتفضلى أنتِ.

حاول جذب نفسه لتندمج بين الأوراق وتقطع شريط الذكرايات الذي يدور أمامه، أخذ يوقع عليها وعقله شارد بعض الشيء، انهى مهامه في المكتب سريعًا ثم قرر العودة إلى البيت ليرتاح بجانب أمه لعلها تخفف عنه ما به.

عندما وصل دق الجرس عده مرات متتالية بشكل جنوني يشتاق إلى حضن أمه كالمدمن الذي يحتاج إلى جرعة المخدر، فتحت في عجلة من أمرها وقلبها يخفق تتسأل ما الأمر، لتجد ابنها يلقي بنفسه بين أحضانها فانهالت عليه بالسؤال.

- حمدي يا حبيبي مالك يا ابنى؟!

- أنا قاتل يا أمي أنا قاتل.

- تعالى بس ندخل جوا.

- بقولك أنا قاتل.

- لا يا حبيبي أنت مش قاتل أنت مكنتش في وعيك، هما اللي دفعوك لكدا بخيانتهم هما اللي خلوك توصل للحالة دي هما اللي دمروك نفسيًا لكن أنت المفروض تبقى أقوى من كدا المفروض تعدي الأزمه دي وتعرف إن الموضوع شوية وقت وترجع أحسن من الأول.

- طيب ووفاء.

- انساها يا حمدي... أنا أصلا الوحيد اللي فارق معايا في الموضوع دا هو عمر ابنك.

- متقوليش ابنك أنا معنديش ولاد.

- لا عم...

- اللى أمه واحدة خاينة دا هيبقى ابنى إزاي؟

- طيب اهدى.. أنا بس كان نفسي توصله.

- إحنا اتكلمنا في الموضوع دا قبل كدا وقولتلك إنى مش هحاول أوصله وإنى معنديش ولاد.

- خلاص يا حبيبي اهدى بس واستنى رايح فين بس يا حمدي يا ابنى متتعبنيش.

- خلاص يا أمي أنا كويس.

اتجه إلى الباب وهو يسمع صوت أمه يكرر «يا ابنى متتعبنيش استنى متنزلش» ومع هذا لم يتوقف أو يلتفت بل أغلق الباب وأكمل طريقه الذي لا يعرف له وجهه، أخذ يجري كأنه يهرب من شيء ما، يهرب من شخص يلاحقه حتى أستقر في أحد المقاهي، جلس فيها ليهدأ قليلًا، يعلم إنه يهرب من نقاش أمه عن عمر ابنه فهي توقظ مشاعر الأبوة التي ماتت بداخله، بدأ يفكر في الأمر من زوايا مختلفة ولكن في كل مرة يعود إلى قراره بنفي نسب عمر إليه بشكل أو بآخر، قاطعة أحد صبيان القهوة يسأله.

- تشرب إيه يا باشا؟

- أى حاجة؟

-أؤمرني وأنا أجيب يا باشا.

- هات شاي

جاوبه بأول مشروب خطر بباله لا ليشربه بل ليتخلص من سؤاله، بعد ثلاث ساعات متواصلة من التفكير فيما حدث في الماضي وما ترتب عليه في الحاضر قرر العودة إلى منزله، ترك ما يناسب من النقود لحساب الشاي ويزيد، اتخذ طريقه عائدًا إلى المنزل سيرًا على الأقدام.

صعد درجات السلم في تثاقل حتى وصل أمام باب شقته، رن الجرس وانتظر قليلًا فلم يأته رد، ضغط مرة ثانية ولكن بلا جدوى، أخرج مفتاحه ووضعه في الباب، فتح ليجد صدمةٍ لم تخطر على باله أبدًا، وجد أمه جثةٍ هامدة ملقاة على الأرض اتجه إليها مهرولًا، رفع رأسها على ذراعه وهو يصرخ قائلًا.

- أمي في إيه.. أنت بتهزري صح.. اصحى اصحى.

لم يجد ردًا على صراخة بل تأكد أن الأمر انتهى فكلما رفع يدها وتركها تقع بتلقائية وكلما أسند رأسها تميل، ضمها إلى صدره وظل على هذا الوضع لأكثر من ساعتين حتى أنه نام في مكانه، استيقظ على آخر رنين لتليفون الشقة وكل ما يدور في عقله أن يتأكد أن أمه بخير وكل ما مر به مجرد حلم، لكن وجد نفسه في نفس الوضع يجلس على الأرض وأمه جثة هامدة بين يديه، وضعها برفق وأسند رأسها إلى وسادة ثم اتجه إلى التليفون ليجيب المتصل لكنه فصل قبل أن يجيب، وهنا تذكر خاله فأسرع ليتصل به ليخبره بما حدث، دق رقمه وانتظر قليلًا حتى جاءه صوته

- ألو..

- أيوه يا خالي

- حمدي حبيب خالك إزيك

- أختك يا خالي أختك

- إيه يا ابنى مال صوتك؟

- مش عارف رجعت لقيتها مغمى عليها في نص الشقة ومش بتتحرك.

- بتقول إيه.. أنت بتهرج.. ومتصلتش بالإسعاف ليه؟!!

- الموضوع مش محتاج إسعاف خلاص .. كل حاجه انتهت.

- طيب أنا جايلك يا ابنى حالًا.

أنهى المكالمة وانهمر في البكاء، لم يستطع إخماد شعوره بالذنب فأخذ يكرر.

- أنا السبب أنا السبب، أنا اللي قتلتك .. أنتِ زعلانة مني صح؟ ردي عليَّ .. أنت موتّي وأنت زعلانة مني؟ طيب ليه؟ ليه كدا لَيه تسبيني دلوقتي في أكتر وقت أنا محتاجلك فيه، دا أنا مليش غيرك، طيب هحكى لمين دلوقتي وهتكلم مع مين، دا أنت الوحيدة اللي دايمًا بتنصريني.

دق جرس الباب بصوتٍ صاخب وشكل متكرر كان خاله سعيد، نهض مسرعًا يفتح له كأنه يفتح للفرج، دخل بدون سلام ولا كلام متجهًا إلى أخته الملقاة على الأرض ضمها إلى صدره والدموع تتساقط من عيونه ثم نظر إلى حمدي قائلًا

- دا فعلًا خلاص!

- مشت وهي زعلانة مني أنا متأكد.

- متقولش كدا يا حمدي يا ابني، أمك كانت أطيب خلق الله وعمرها م زعلت من حد، هتزعل منك أنت؟

انفجر بالبكاء كأنه ماسورة مياه فشعر خاله أنه يحتاج إلى شيء من الحنان، نهض وضمه بين ذراعيه وهو يكرر كلمات من هذا القبيل في أذنه.

- يا حبيبي أنت راجل مؤمن وأكيد عارف إن دا قضاء الله قدره وإن دي ساعتها اللي كانت لازم هتفارقنا فيها، اجمد كدا يا ابنى ومش عاوزك تشيل هم أى حاجة أنا موجود في أى وقت.

- ربنا يخليك ليَّ يا خالي.

- يلا اقوم أنت اغسل وشك واهدى كدا، وأنا هخلص كل الإجراءات والأوراق اللازمة

عشان الدفن.

- ماشي

- آه كمان، كنت عاوز أقولك نعمل الميتم عندي في البيت أنت عارف دا كان بيت جدك الله يرحمه.

- ماشي يا خالى اللي تشوفه.

****

في المساء في أحد مباني القاهرة العتيقة حمدي يقف في المقدمة وإلى جوار خاله يأخذ عزاء والدته ، مارزال في صدمه من أمره لا يصدق أنه يقف الآن ليأخذ عزاء أحب وأقرب الناس إليه، ينظر في عين كل من يصافحه ليحصل على نظره العطف هذه التي ينتظرها، يعدها نظرة حنان أكثر من كونها عطفًا وهو في أشد الحاجة لهذا الحنان فقد ذهبت من كانت منبعة الخاص، بعد سلامة على آخر شخص موجود بالمكانٍ صافح خاله بحرارة وأخبره أنه ذاهب إلى منزله يريد الجلوس إلى نفسه قليلًا والعزلة عن البشر، اتجه بعد ذلك إلى سيارته لا يعلم كيف سيقود وخيال أمه يطارده في كل مكان حتى أنه ركب السيارة بجواره دون أن يفتح بابها، يتحرك مع عيونه فلو نظر إلى السماء لوجده، ورائحتها ملازمة له طوال الطريق إلى البيت موطنها الأساسي حيث يتذكرها في كل ركن من أركانه ويسمع صوتها يوقظه من النوم، يتحدث إليه، ينادى باسمه كأنها مازالت على قيد الحياة، روحها بالمكان وصورتها في خياله.

قضى أكثر من يومين وحيدًا لا يجيب من يتصل به ولا يفتح لمن يدق بابه، لا يأكل ولا يشرب، لا يذهب إلى العمل، نائمٌ أغلب الوقت كأنه يهرب من الواقع، فلمن يستيقظ ومن أجل من يعمل وواقعه بلا أشخاص !!!

بعد أسبوع من الوفاة وهو على نفس حاله النوم المتواصل دون شراب ولا طعام، دق باب الشقة بشكل متواصل بلا توقف مما دفعه ليفتح وكانت أول مرة

يستجيب ويفتح لطارق، وجد إبراهيم صديق الإعدادية أمامه يضمه إلى حضنه الدافء ليزيل بعض جبال الحزن والهم من على أكتافه، فاستجاب إليه قائلًا

- من زمان محدش حضني.

- إيه يا حمدي إحنا مش صحاب ولا إيه، إزاي متجيش تقعد عندي إزاي متقوليش ولا تديني فرصة إني أخفف عنك، أنت مش عاوز ترجع صحبيتنا ولا إيه؟

- يا عم أدخل بس ومتقولش كدا، كل ما في الموضوع إني كنت عاوز أقعد لوحدي شوية

- طيب كنت عرفني

- هو أنت عرفت إزاي صحيح؟

- روحتلك الشركة عشان أشوفك وأعرف البروجرام بتاع الرحلة اتغير ولا لا فلقيتهم بيقولوا إنك مش موجود ولما أصريت أعرف سبب غيابك قالولي اللي حصل.

- فعلًا مروحتش الشركة من يوم الوفاة

- بس لازم ترجع لشغلك بقى، البقاء لله وحده وأكيد لما تنزل وتحتك بالناس دا هيخفف عنك أكتر ولا إيه

- عندك حق فعلًا، أنا كنت ناوي يومين كدا وهنزل تاني.

- خلاص وأنا عازمك بكرة على الغدا برا.

- لا لا بلاش خليها مرة تانية.

- أنا قولت بكرة خلاص انتهت.

- صدقني يا إبراهيم مليش نفس.

- صدقني أنت مش هينفع، خلاص هعدي عليك بكرة الساعة تلاتة تكون جاهز بقى.

- أنت قايم رايح فين؟؟

- همشي أنا دلوقتي عندي شوية حاجات عاوز أعملها وأشوفك بكرة، مبسوط إنى

اتطمنت عليك

- نورت يا إبراهيم.

- دا نورك يا صاحبي، مع السلامة.

- سلام

غادر إبراهيم وعاد حمدي إلى عزلته مرة ثانية لكنه يشعر بالتحسن شيئًا ما كأنه كان يحتاج من يدق بابه ويصر في دقه كي يشعر أن ما زالت له قيمة في هذه الحياة ما زال هناك أشخاص يفرق معهم وجوده إلى جانبهم من غيابه عنهم ليتحسن هو بعض الشيء ويقاوم ضغوط الحياة من حوله، شعر بالجوع فنهض لإحضار شيء يأكله أمام فيلم السهرة لم تكن من هواياته متابعة الأفلام ولكنه أراد التغيير، أنهى طعامه واستغرق في النوم مكانه أمام التلفاز حتى صباح اليوم التالي، استيقظ لأول مرة منذ فترة يشعر بنشاط، يريد الاستحمام وإزالة لحيته استعدادا لمجيء إبراهيم.

الساعة تدق الثالثة عصرًا وإبراهيم يدق باب حمدي، توجه إليه ليفتح قائلا

- تعجبني المواعيد المظبوطة دي .. بس من إمتى؟!

- اتغيرت عن زمان خلاص يا صاحبي.

- أنا فاكر وإحنا صغيرين كنت أنت دايمًا المتأخر اللي فينا، حتى وإحنا نازلين نلعب في الشارع كنت بتنزل آخر واحد.

- اتربيت في الشغل واتعلمت إن المواعيد أهم حاجة

- جميل والله، مش هتدخل ولا إيه؟

- ادخل إيه بس يلا ننزل دا أنا هأكلك أكله كباب إنما إيه عشرة على عشرة

- جوعتني يا عم، استنى أقفل الباب بس ونكمل كلام في العربية، طبعًا أنت هتوصلني تاني لحد هنا

- يا عم اركب بس، يعني أنا أخدك وأغديك وعاوزني كمان أرجعك لحد هنا دا أنا

لو مخلوق لسعادتك بس مش هعمل كدا!!

- إيه يا هيما مش كدا م أنت كنت كويس.

- خلاص هرجعك، بس أصلي كنت سمعت عن وسيلة مواصلات جديدة اسمها تاكسي وافتكرتك عاوز تجربها.

- لا مش عاوز دول أسعارهم غالية.

- بتوفر على قفايا ماشي، وصلنا خلاص.

- إيه دا، دا طلع قريب مني جدًا، دا فاتح جديد؟

- آه، بس بيقولوا أكله حكاية.

صف إبراهيم السيارة، نزل متجهًا إلى المطعم وإلى مائدة محددة وحمدي إلى جواره، جلسا معًا وكانت الطاولة مجهزة بكل شيء، الطعام والشراب كل شيء، انبهر حمدي بذلك فرد إبراهيم على هذه النظرة قائلًا

- تحس إنى بعاملك معاملة خطيبتي كدا.

- آه جدًا يعني.

- يلا يا عم علشان تعرف أنا بحبك قد إيه؟

- طيب مش هناكل ولا هنقضيها فرجة.

- هناكل طبعًا يلا بسم الله.

- بسم الله.

- مش ناوي ترجع الشركة بقى يا ابنى ولا إيه عاوز أسافر باريس بقى؟

- اتطمن هتسافر.

- طيب ارجع علشان اطمن عليك أنت.

- متقلقش عليَّ خلاص أنا كويس.

- الحمد لله.

- م تحكيلي شوية عن شغلك أخباره إيه؟

- زي م قولتلك عندي مصنع منتجات ألبان، لما استلمت نصيبي من ثروة أمى وأبويا بعد ما ماتوا في حادثة عربية، فكرت أفتح مشروع خاص بيَّ بس كنت عاوز فكرة المشروع وحد فاهم لقيت واحد صاحبي عنده فكرة وشبه بدأ في التنفيذ بس كان رأس المال بتاعه قليل .

- طبعًا شاركته.

- إيه التوقع الفظيع دا، فعلًا شاركته خصوصًا كمان إن فلوسي لوحدها مش هتقوم مشروع كامل وأختي أخدت نصيبها حطته في شقة أكبر ليها هي وجوزها.

-يااااه هالة اتجوزت، أنا فاكرها وهي صغيرة

- مسير الصغير يكبر.

- عندك حق .... وبعدين.

- بس يا سيدي، وبعدها اتجوزت وطلقت زي ما قولتلك وقررت إنى هتم بنفسي والشغل وبس وأهو المصنع شغال الحمد لله كويس وأديها ماشية

- وصاحبك؟

- ماله

- طلع كويس، يعني ممكن يكون بيسرقك أو بيخونك وأنت متعرفش.

- يا صاحبي عاوز أقولك على حاجة مش معنى إنك عرفت صاحب وطلع ندل أو خاين يبقى الباقي هيبقى كدا، عندك أنا وأنت أهو نعرف بعض بقالنا سنين ولسّه صحاب لحد النهارده.

-بس م تقُرش بس

-مش بقُر، ربنا يديم المحبة بينا.

- يا رب يا إبراهيم، الأكل طلع حلو فعلًا.

- مش قولتلك، والواحد كان جعان جدًا.

-آه أوي.

-هنعمل إيه دلوقتي؟

- مفيش هنقوم نمشي.

- ماشي على راحتك، يلا يا سيدي علشان أوصلك.

- لا لا أنا هتمشي لحد البيت المسافة مش بعيدة وكمان علشان أهضم.

- ماشي براحتك بردو، بس افتكر إنى عزمت.

تعالت أصواتهم بالضحك وترك إبراهيم الحساب على الطاولة، خرجوا معًا واتجه حمدي إلى صديقه بجزيل الشكر على هذا الوقت والطعام ثم ودعا بعضهما على لقاء آخر في اليوم التالي.

كانت نية حمدي أن يعود إلى المنزل مباشرةً ولكن أخذه التفكير فى شئون الدنيا فلم يعد يقتصر تفكيره على قضيته وحده بل بدأ يفكر في الموضوع على نطاق أوسع بمعنى ما معنى الصداقه؟ وكيف يكون الصديق؟ كيف يجب أن تكون هذه العلاقة التي تربط أشخاص لا يعرفون ببعضهم البعض لتجعلهم كالإخوة كما يدعي بعض الأصدقاء ومن ضمنهم حمدي قديمًا كان يظن أن علاقته بإبراهيم تطورت من كونها مجرد صداقة عادية إلى ما يشابه صلة الدم ومع هذا نالت أبشع نهاية، فمن أين جاء الخلل هنا وما سبب ذلك أهي ثقة حمدي الزائدة بمن حوله أم أخلاق إبراهيم المتدنية؟؟ تتكاثر الأسئلة بداخله ولكنها تظل بلا إجابه!

بعد مرور أسبوعين على إبراهيم مروا ببطء شديد من شدة شوقه لرحلة باريس، كالطفل الذي ينتظر يوم الجمعة من كل أسبوع بفارغ الصبر بعد أيام الدراسة المتواصلة، قبل السفر بخمس ساعات ذهب إلى حمدي في مكتبه ليودعه فقد تعود على مقابلته يوميًا أو يومًا ويوم وستفصلهم هذه الرحلة لمدة خمسة أيام متواصلة.

- حمادة هتوحشني يا راجل.

- وأنت كمان والله يا إبراهيم، اتعودت أشوفك كل يوم.

- متقلقش راجعلك تاني يوم التلات، يعني كلها خمس أيام.

- ترجع بالسلامة إن شاء الله ويا رب الرحلة تعجبك.

- أوعدك لو عجبتني هجيبلك زباين.

- هههههههههههه خلاص هستنى الزباين.

- تعجبني الثقة دي.

- طول عمري، ما أنت عارف.

- لا مش عارف، دا الكلمة دي طلعت معدية بقى.

- باين كدا هاهاها

- يلا سلام يا صاحبي

غادر إبراهيم متجهًا إلى المطار ويغمر وجهه ابتسامه منعشة مستعدًا للاستمتاع بكل دقيقة قادمة وفي نفس الوقت لديه مشاعر حزن لفراق أخيه هذه الفترة الصغيرة، أما حمدي فالموضوع بالنسبة إليه كان حالة من التعود، تعود على لقائه بشكل مستمر في الفترة الأخيرة وسيفقد ذلك بشكل مؤقت، لكن لا يشعر بأي مشاعر فمن الواضح أن مشاعره قد تجمدت!

انهمك في حياته الروتينية، طوال النهار في الشركة يقضي وقته بين الأفواج المسافرة في رحلة جديدة والعائدة من السفر، وطوال الليل نائم على سريره أو أمام التلفاز يتنقل بين القناة الأولى والثانية، يجلس بمفرده لا زائر ولا صديق ولا حتى قريب، لم يدق أحد أقاربه بابه منذ زمن فكل من كان يأتى منهم كان يأتي لوالدته وعادته ما يحدث هذا في غيابه وإذا حدثت صدفة في وجوده فلا يجلس معهم سوى خمس دقائق لا أكثر ليرحب بهم ويدخل غرفته، لم يكن لديه علاقات معهم مطلقًا، في مساء يوم الثلاثاء لم يعد حمدي من الشركة إلى البيت مباشرةً كالمعتاد بل بدل اتجهه إلى منزل إبراهيم صديق الإعدادية ليرحب بعودته ويسأل عن الرحلة كيف كانت طرق الباب ووقف على جانب وبيده علبة حلوى

فتح إبراهيم قائلًا

- مين؟

- أنا حمدي

- حمدي حبيبي .. وحشتني جدًا

- إزيك يا إبراهيم؟

- الحمد لله، اتفضل أدخل

- أخبار باريس إيه؟

-الشركة اللي كنت طالع معاها دي مش قادر أقولك شركة محترمة ومنظمة إزاي؟

- دي شهادة نعتز بيها.

- هههههههههه يا عم متقولش كدا أنتم مش محتاجين شهادتي، استنى بقى أما أجيبلك هديتك

- هديه إيه؟

- اتفضل يا سيدي، يا رب زوقي في الساعات يعجبك.

- لا حلوة بجد.

- قولي بقى عملت إيه من غيري الكام يوم اللي فاتوا.

- ولا أي حاجة قضيتهم شوية شغل وشويه نوم.

- دا إيه الإنجازات دي.

- اتريق اتريق، يعني عاوزني أعمل إيه يعني؟

- اتعرف على ناس جديدة كون صداقات ولا أنت مكتفي بيَّ بس، أنا عارف إنك مش هتلاقي زيي بس دور يمكن تلاقي

- ضحكتني والله وأنا مليش نفس.

- روق يا ابنى محدش واخد منها حاجة.

- طيب بقولك إيه أنا عازمك على الفطار بكرة.

- فين؟

- لا دا فطار مش مستاهل نروح برا.

- أمال؟

- عندي في البيت أصلي جايب بن جديد من برا لسه واصلي إمبارح بس مش قادر أقولك روعة، وأنا عارفك بتحب القهوة.

- طالما فيها بن يبقي ماشي، من ستة الصبح هتلاقيني بخبط على الباب.

- ستة إيه يا عم إحنا هنبيع جرايد ولا إيه خليها تسعة.

- ماشي خليها تسعة، أنت رايح فين بس؟

- همشي أنا بقى، أصلي تعبان جدًا وعاوز أنام.

- ماشي يا صاحبي أشوفك بكرة قبل الشغل.

غادر حمدي وفي طريقه إلى البيت قبل أن يصل توقف أمام أحد المحلات ليشتري بن ثم أكمل طريقه، تذكر أنه لم يستمع إلى أم كلثوم منذ زمن فوضع أحد الشرائط المفضلة إليه وتتناسب مع وضعه الحالي ليأتيه صوتها العذب «عايزنا نرجع زي زمان، قول للزمان ارجع يا زمان» أخذ يغني معها بحزن واضح على صوته حتى وصل، صعد إلى شقته، بدل ملابسه في لمح البصر وألقى نفسه بين أحضان سريره ليغط في نوم عميق.

في تمام السابعة والنصف استيقظ، أراد ترتيب الشقة بعض الشيء قبل مجيء إبراهيم، على الرغم من أن ترتيبه ليس كما كانت تفعل أمه أو حتى فتاة في سن صغير لكن أصبح الوضع أفضل مما كان عليه شيء ما، دخل إلى المطبخ ليجهز بعض أطباق الفطور الخفيفة وأثناء ذلك دق إبراهيم الباب، فتح له قائلًا

- صباح الخير.

- صباح النور.

- ورايا يلا على المطبخ واقفل الباب وراك

- أنت لسه مجهزتش .. أنا جعان يا ابنى.

- كل حاجة جاهزة أهو، طلع الأطباق دي على الطربيزة وأنا هجيب البيض وآجي

- ماشي

- طلعت العيش.

- هاخده أهو.

- وأنا جبت البيض، يلا بينا.

- بسم الله.

- بسم الله، طبعًا أنت ملك الألبان والأصناف دي مش هتعجبك.

- لا يا عم أنت مكلف وعامل فول وبيض ومحمر بطاطس كمان.

- إلا ما لقيتك في مرة داخل عليَّ بتمن جبنة حتى.

- هههههههههههه من عنيا حاضر المرة الجاية أجيبلك كيلو.

- والله شكلك بقيت بخيل، هقوم أعمل القهوة أحسن.

- وكمان بتقول بخيل طيب أنت تعرف عني كدا؟

- أنا مالي يا عم أفعالك اللي بتقول كدا.

- يلا يا إبراهيم القهوة هتبرد، أنت بتغسل إيدك ولا بتستحمي.

- جاي أهو، ريحتها تحفة.

- ولسّه أما تدوق.

- هات يا عم هات، الله حلوة فعلًا

- مش قولتلك.

- اتأخرت جدًا على شريكي قاعد مستنيني علشان في ورق وحسابات عاوزين نظبطها مع بعض.

- شكله محترم صاحبك دا.

- آه جدًا، هبقى أعرفك عليه قريب حكيتله على الرحلة واتشجع جدًا إنه يروح يغير جو في أي مكان

- ابعتهولي في أي وقت وأنا هظبطه.

- بس يا عيني لو طلع هيدفع جامد علشان المدام والأولاد.

- لا يبقى تبعته بسرعة دا هيبقى وراه مكسب كويس.

-هههههههههه.

- أنا هدخل ألبس في ثواني لحد ما تخلص قهوتك علشان أنزل معاك.

- ماشي

دخل حمدي بدل ملابسه سريعًا وصف شعره بعناية ثم خرج إلى صديقه لينزلوا معًا كل منهم إلى عمله

كان هذا اللقاء هو آخر لقاء بينهم، فكل منهم شغلته أمور الدنيا بعد ذلك، إلى أن شعر حمدي بالاشتياق لإبراهيم وشغف كبير لرؤيته، فقرر الذهاب لزيارته في الحال، خرج من مكتبه وذهب إلى علياء أولا ليطلب منها أن تلغى مواعيد اليوم لأنه لن يعود مرة ثانية، أكمل طريقه وخرج من الشركه مستقلًا سيارته متجهًا إلى منزل إبراهيم الذي لم يدخله منذ عودته من الرحلة.

عندما دخل الشارع المقصود وقبل بيت إبراهيم ببيتين شاهده يصف سيارته بجانب بيته ويتجه ليصعد شقته، اطمأن لوجوده وأنه لم يسلك كل هذه المسافة هباءً، صف سيارته هو الآخر وصعد خلفه وعلى وجهه ابتسامه عريضة، دق الباب وانتظر قليلًا، كرر دقة مره وأخرى، يسمع صوت حركة صديقه بالداخل تزيده إصرارًا على الدق بشكل مستمر لكن بلا جدوى فارتفع صوته قائلًا «ابراهيم افتح يا إبراهيم « بلا إجابة.

بعد عشر دقائق من الضجيج المتواصل الذي صنعه في المكان اتجه إلى سيارته ليذهب وهو يؤثر في نفسه حزن شديد وعقله يكاد ينفجر من كثرة التساؤلات

التي تخطر في باله، أخذ يدور في شوارع المدينة يسأل نفسه ويجيب.

- هو بيتهرب مني؟ بس هو أنا عملت إيه علشان كدا، طيب جايز زعلان إنى مسألتش عليه بقالي فترة؟ عادي ما هو كمان مسألش، ممكن مسمعنيش؟ دا الجيران كلهم سمعوا وافتكروني مجنون ... في حاجة متغيرة في إبراهيم ولازم أفهمها منه، يبقى لازم أروحله بكرة شغله.

أكمل طريقه محاولًا أن يهدأ قليلًا ويقنع نفسه بوجود سوء تفاهم بسيط أو أن شيئا ما قد شغله ومنعه من فتح الباب.

لم يتوقف عن التفكير لحظة واحدة كيف بإبراهيم صديق الإعدادية أن يبتعد بهذه الطريقة ولما يبتعد! عليه الإجابه على كل هذه الأسئلة غدًا

تناول طعامه ورفع الهاتف متصلًا به فهو لا يطيق الانتظار إلى الصباح ليعرف ما الأمر؟

دق أرقام هاتفه منتظرًا سماع صوته الضاحك لكن لم يأتِ، أغلق الهاتف وهو يقول في نفسه

- شكله نام ولا إيه؟

الساعة الثامنة والنصف صباحًا حمدي يغلق باب سيارته مستعدًا لفهم الأمر، متجهًا إلى مصنع صديقه، دخل متسائلًا عن مكتب الأستاذ إبراهيم حتى وصل إلى سكرتيرة مكتبه.

- إزيك؟

- أهلًا بحضرتك، اتفضل.

- ممكن أقابل الأستاذ إبراهيم، قوليله صاحبك حمدي.

- طيب اتفضل حضرتك ارتاح وأنا هدخل أبلغه.

- شكرا ليكِ

لم تتأخر بالداخل، خرجت بوجه شاحب قائلة

-آسفه جدًا، أستاذ إبراهيم رفض يقابل حضرتك

- إزاي؟ أنت متأكدة إنك قولتيله إني حمدي صاحبه.

- أيوه وقالي أقول لحضرتك كفاية لحد كدا بقى.

صدمة لا مثيل لها من مصدر لم يتوقعه أبدا، شتت عقله أكثر وأكثر فلم يكن على قدر كاف من استيعاب خيانة صديقه التي تأكد منها قديمًا ليستوعب تجاهل غيره حديثا فكيف لشخص أن يفعل ما ينهي عنه، كيف لإبراهيم أن ينصحه بالتعرف على أشخاص جديدة ويبتعد هو دون أن يبرر ذلك تاركًا عقل حمدي يجد تبريره المناسب ... لكن كيف؟

وهو لم يستطع إجابه أسئلته التي تتزايد بداخله منذ سبعه أعوام ليجد إجابه منطقيه تبرر هذا الابتعاد الحديث، كأن الظروف تدفعه دفعًا لمرحلة من الجنون، دائمًا يجني عليه من حوله دون مراعاة لآدميته حتى!

******

2016

وصل مجدي ومعه رامي إلى الشركة وكان آذن المغرب قد حضر، ازدادوا تشوقًا لرؤية ما سيحدث فالشمس ستغرب والفاعل سيصحوا من غفوته ليبحث عن جريمة جديدة يقوم به.

فتح رامي هاتفه وجلسا إلى جانب بعضهم البعض لمتابعة المشهد، في أول الأمر المكان عامر بالهدوء لا أثر لحركة أو لصوت يدل على وجود أحد، لكن فجأة ارتفعت أصوات غريبة عجزوا عن تميزها أو حتى تخمين مصدرها، لكنها لم تستمر كثيرًا فسرعان ما انقطع الإرسال وتغيرت الشاشة، انتظروا عودته مرة ثانية إلى أن ملوا الانتظار، فنهض مجدي متجهًا إلى المكتب ليمضي بعض الأوراق المتأخرة تاركًا صديقه يتنقل بهاتفه بين كاميرا الغرفة والكاميرا الخارجية بلا جدوى فلا يوجد تغير، مل من هذا واتجه إلى التلفاز يتنقل بداخله ليقطع مله تاركًا هاتفه مفتوحًا لعل الصورة تعود مرة أخرى، مرت عليهم ساعات عديدة بهذا الوضع حاولوا الصمود لكن غلبهم النوم في النهاية.

استيقظ رامي من نومه وطلوع الشمس يشعر بالعطش وألم في ظهره إثر النوم على الكرسى كأنه كان يُعذب، نهض وهو يفرد ظهره ليبحث عن مياه فلمح هاتفه على المنضدة، اتجه إيه كأن ذاكرته عادت فجأة وتذكر سبب وجوده في هذا المكان في هذا الوقت، فتحه فوجد الإرسال قد عاد وصورة الغرفة الصغيرة أمامه ثابتة، ضغط بإصبعه ليحول الصورة على الكاميرا الخارجية ليجد الموقع فارغًا لا أثر لأدوات البناء التي أحضرها مجدي، بالفعل قد اختفت، قد فلت الفاعل بعملته مرة أخرى ولم يستطيعوا رؤيته بسبب الإرسال المقطوع.

حاول إيقاظ مجدي ليخبره بذلك الخبر السعيد، لكنه لم يستجب فتركه ينام قليلًا، أسند هو ظهره وأخذ يفكر في هوية هذا الفعال المحترف هل كان يعلم بالكاميرات؟ هل هو من قطع الإرسال ثم أعاده، أغمض عينيه متذكرًا كل لحظة مرت عليه بداية من الجريمة الأولى حتى وصل إلى ذلك الرجل الذي كان خلفه أثناء ما كان يعد الشاي فانتفض من مكانه وصوت عبد الرحمن يرتفع في أذنه.

- المرة دي في دم والأداة المستخدمة سكينة.

- سكينة! الراجل كان ماسك في إيده سكينه وعليها آثار دم، معقول يكون فعلًا هو القاتل طيب هو مين؟ وكان جاي يقتلني ولا إيه؟ واختفى ليه؟ هو كان حقيقة أصلًا ولا ..؟!

اهدى يا رامي، اهدى دا كله مش حقيقي، مش حقيقي إزاى وكل التوقعات اللي اتقالت في القسم عن حجم السكينة وشكلها، تقريبًا نفس اللي كانت مع الراجل الغريب دا، يااا ربي أنا اتجننت ولا إيه..

حاول تهدئه نفسه قليلًا مجبرًا إياها على النوم مرة أخرى حتى نجح في ذلك.

استغرق في نومه إلى أن رن هاتف المكتب في التاسعة صباحًا فانتفض من مجلسه وهو يصرخ

- مييييييين؟

وتبعه مجدي قائلا

- في اييييييه؟

انتبه أنه الهاتف فأجابه ليجد السكرتيرة

- صباح الخير يا فندم.

- صباح النور يا ستي.

- آسفة يا مستر رامي بس أنا لاحظت إنكم موجودين ومكنتش عاوزه أعمل إزعاج...

- خلاص إنجزي قولي عاوزة إيه؟

- حاضر.

كانت تريد أخبار مجدي برسالة رجل الأعمال عاصي عبد الفتاح بأنه يريد التحدث إليه، اتفق معها أن يخبره وأنهى المكالمة ليجد مجدي ينظر إليه بغضب فحاول تهدئة الموقف قائلًا.

- صباح الخير يا مستر.

- هيجي منين الخير وأنت كل شوية تفزعني كدا، إيه يا ابني اهدى شوية الموضوع مش ناقص

- أصل التليفون رن فجأة وأنا كنت نايم.

- دا على أساس إنه المفروض يخبط الأول، قولي طلع مين أحسن.

- دي سمر السكرتيره عاوزة تقولك تكلم واحد اسمه عاصي عبد الفتاح.

- يا أهلًا وسهلًا.

- في إيه يا مستر.

-تعرف يبقى مين الواحد اللي أنت بتقول عليه دا.

- مين؟؟

- دا واحد من التلت رجال أعمال صحاب الكومباوند وأكيد عاوز يتطمن التحقيق وصل لفين.

- دا على أساس إنك وكيل النيابه اللي ماسك القضية، إحنا ملناش دخل في حاجة زينا زيه بالظبط.

- أنت عارف دا أغرب مشروع دخلته في حياتي كلها.

- يا مستر أنت خايف منه ليه؟ كلمة عادي جدًا هو أكيد عنده علم بكل حاجة وأكيد كمان جاله استدعاء قبل كدا لأنه من أصحاب المكان اللي حصلت فيه الجريمة ولا إيه؟

- عندك حق هكلمه عادي، شوفلنا بقى هنفطر إيه على ما أكلم الراجل.

- كنت عاوز أقولك حاجة بس.

-ايه؟ قول.

- أنا صحيت بعد الفجر كدا علشان أشرب.

- إيه ملقتش ميه؟

- تصدق مشربتش ونمت تاني.

- أيوه وأنا أعمل إيه دلوقتي؟

- م هو مش هو دا الموضوع اللي عاوز أقوله.

- يا معين، ياريت تنجز.

- حاضر، لما صحيت مسكت الموبايل ولقيت الإرسال رجع.

- بجد! طيب لقيت حاجة غريبة في المكان؟

- للأسف الكاميرا الخارجية موضحة أن كل المعدات اختفت ودي تقريبا المرة التالتة، لكن كاميرا الأوضة مفيش حاجة متغيرة، م هو أكيد مش هيسرق الشاي والقهوة اللي هناك.

- هرج هرج، المشروع دا كدا مش جايب همه، دا أنا هصرف عليه من جيبي بعد كدا.

- مش عارف أقول إيه بس دي فعلًا حقيقة، إحنا كدا هنخسر.

- كويس إنك قولتلي قبل ما أكلم عاصي، خلاص سيبنى أكلمه وروح شوفلنا أنت هنفطر إيه مع إنك سديت نفسي بكلامك كالعادة.

- ربنا يخليك يا مستر والله.

خرج لإحضار الفطور بينما كان مجدي ينتظر إجابة عاصي على اتصاله

- ألو إزي حضرتك يا فندم؟

- الحمد لله، إزيك يا باشمهندس مجدي؟

-الحمد لله، سمر قالتلي إنك عاوزني.

- أيوه فعلًا كنت عاوز اتطمن على القضية وصلت لفين وكمان المباني.

- عرفت بآخر جريمة؟

- لسه جايلي استدعاء فقولت أشوف الموضوع دا هيخلص إمتى، الحكاية عمالة توسع وكل شوية جريمة جديدة.

- مش عارف والله أقولك إيه بس إحنا أكتر ناس متضررة من الوضوع دا، المشروع اللي المفروض يجيبلي مكسب شكلي هصرف عليه من جيبي قريب.

- ليه؟

- الحكاية مش على قد القتل بس، لا دا كل شوية معدات من عندنا تختفى وأجيب غيرها وتختفى وأجيب غيرها.

- علشان كدا لازم نشوف حل.

- م هو المشكلة إن مفيش في إيدينا حل القضية شغالة بس مفيش جديد.

- واشمعنا الحاجات دي مش بتحصل غير معاكم أنتم

- أنا أكتر حد نفسه يعرف إجابه السؤال دا واللهِ.

- خلاص أنا هروح القسم النهارده علشان الاستدعاء دا وأي جديد هبلغك بيه.

- ماشي يا باشا ربنا يستر.

- ماشى يا باشمهندس.

أغلق مجدي الهاتف وكل ما يفكر به هو الانتهاء من هذا المشروع ليغلق هذه الصفحة من حياته، كأنها المرة الأولى التي يدخل بها مشروع كبير في حياته، دق باب المكتب ودخل رامي عليه فتعجب قائلًا

- شايفك أخدت على المكتب وداخل خارج كأنه بيتكم.

- يا فندم مكاتبنا واحدة .. وبعدين أنا جبت الفطار.

- جبت إيه؟

- باتيه وعصير.

- طيب هات .. قولي هو الشغل وصل لفين في المكان المشبوه بتاعنا.

- عمارتين وصلوا للخامس والتالتة لسّه هتدخل في مرحلة الأساسات.

- دي اللي هي اتأخرت؟

- وكل يوم تتأخر أكتر شكلنا هنسلم من غيرها.

- لا عاوزك تخلصنا بقى.

- حاضر يا مستر متقلقش.

- ألو أيوه يا عبده

- إيه يا رامي أنت فين؟

- أنت اللي فين، فاتك نص عمرك انت امبارح الحق دور على النص التاني بقى.

- ليه إيه اللي حصل، وصلتوا لحاجة؟

- وكمان بتشكك في قدراتنا، لا دا أنت محتاج خصم بقى علشان تفوق.

- يا عم ما تنجز، وصلتوا لإيه؟

- الموضوع اتحل خلاص يا ابنى وعرفنا مين اللي بيعمل فينا كدا.

- مين؟

- حاول تتوقع أنت.

- حسين وشركته

- ما أنت يجي منك أهو

- بجد؟!

- يا آخي الناس طلعت صعبة أوي، إيه ذنب العمال بس في أي خلافات بينا؟

- واللهِ مش عارف أقول إيه أنا مصدوم إن فيه حد كدا

- دا أنا اللي مصدوم إن في حد زيك، أنت صدقت؟

- الله، حيرتني يا رامي.

- حيرتك إيه بس، أنت أي حد يقولك أي حاجه كدا تصدق؟

- أمال أعمل إيه يعني؟

- لا وكمان صدقت إنك بتعرف تتوقع.

- دي أكتر حتة فرحتني والله.

- هاهاهاها تعيش وتاخد غيرها.

- طيب وصلتوا لإيه بجد؟

- ولا أى حاجة الإرسال قطع من إمبارح المغرب ورجع النهارده الفجر وكالعادة كل حاجة كانت هناك اختفت.

- يا ربي

- وهنجيب معدات جديدة علشان نشتغل ونخلص من المشروع النحس دا.

- نحس فعلًا.

- يلا هنعمل إيه بقى؟

- ولا أي حاجة، هنشتغل.

- يبقى أشوفك في الشغل

- ماشي سلام يا صاحبي.

- سلام.

١٩

تحول حمدي إلى هيكل عظمي متحرك بعد تركه للطعام لفترات طويلة، أصبح عظم يكسوه طبقة رقيقة من الجلد بسبب حالته النفسية المتغيرة فأحيانا ينتابه شعور بأنه على حق فيما فعله في صديقه إبراهيم فتح الله الذي كان يمثل له المعني الحقيقي للصداقة قبل أن يكتشف خيانته التي لا تغفر ولا تعوض بأي ثمن، كان سبب أساسي في تدمير أسرة حمدي ويستحق القتل وأحيانا أخرى يشعر بأنه بجريمته هذه دمر نفسه إلى الأبد وأصبح قاتلًا على الرغم من أنه الضحية لخيانتهم.

هل أصبح حمدي مقتنعًا تمام الاقتناع بالجملة التي قالها لحظة قتل إبراهيم فتح الله هل تمكنت منه حقًا فقد تذكرها أيضًا في آخر مرة حاول فيها مقابلة صديق الإعدادية وفشل، أصبح يشعر بالكره تجاهه من وقتها أكثر هل لأن اسمه يمثل لحمدي معنى الخيانة أم لأنه ظهر في حياته بعد أن ساءت حالته النفسية؟

أصبح حمدي حطام إنسان خاصة بعد وفاه أمه التي كانت صديقته منذ صغره يحكى لها كل شيء يخصه بداية من أيام المدرسة والجامعة وحتى بعد زواجه كانت تعرف عنه كل صغيرة وكبيرة إلا موضوع خيانة زوجته وصديقه له، لم يخبرها حتى لا تمنعه من الانتقام في أي وقت لكن ليته أخبارها لتمنعه من تدمير نفسه بنفسه ولكن فات الآوان ولم يعد لديه من يحكى له ما بداخله حتى أنه فكر في الذهاب إلى أحد أطباء النفس لعله يجد لديه الأذن التي تسمع له ولما يدور بداخله وبالفعل ذهب، ذهب وهو يقرر بداخله عدم الصراحة فلن يبوح بكل أسراره لهذا الطبيب.

تردد في بداية الطريق لكنه أصر على الذهاب لعله يجد حلاً، وصل أمام عيادة الدكتور عبد الفتاح الديب دخل وجلس في الانتظار ليأتى دوره، بعد نصف ساعة جاءه صوت أنثى.

- أستاذ حمدي

- أيوه.

- اتفضل يا فندم الدكتور في انتظار حضرتك.

شكرها ودخل ملقيًا السلام على الطبيب ليأتيه الإجابة

- وعليكم السلام إزي حضرتك يا أستاذ حمدي؟

- الحمد لله تمام يا دكتور.

- دي أول مرة تدخل فيها عيادة نفسية

- أيوه صح.

- حسيت عندك الرهبة فتوقعت دا، لكن متقلقش خالص أنا هنا النهارده علشان اسمع وبس قولي كل حاجة هتيجي في بالك وعرفني بنفسك الأول علشان ناخد على بعض

بدأ حمدي بتعريف نفسه ثم تحدث عن عمله وعلاقاته وحياته التي كان يعيشها ويتمنى أن تعود، أخد يتذكر أشياء مر عليها أكثر من سبع سنوات كانت تمثل له معنى التعريف بالنفس لأنه يرى فيها نفسه القديمة، استمر الحديث لساعات حمدي يروى ما يريد فقط والطبيب مستمعٌ جيدٌ لم يقاطعه.

- طيب يا أستاذ حمدي أنت بتتكلم كلام حلو وحياتك ماشية جميل إيه اللي ناقص بقى .. يعني أكيد فيه حاجة أساسية خلتك تيجي هنا النهارده بس الحاجة دي مش واضحة في كلامك.

- بس هي دي حياتي.

- دا شيء جميل حضرتك شريك في شركه طيران مشهورة وبتحب زوجتك وابنك عمر وأمك أهم حاجة عندك ..

- ايوه ما هي دي حياتي.

- طيب أنت ليه بتكرر الجملة كتير؟

- جايز علشان مفتقدها.

- إزاي مفتقدها وهي دي حياتك؟!

- أصل دي حياتي من أكتر من سبع سنين، كانت ماشية كدا بالظبط لحد يوم افتتاحي أنا وشريكي لفرع جديد للشركة بتاعتنا.

- أيوه وبعدين إيه اللي حصل.

- كل حاجة اتغيرت..

- كمل يا أستاذ حمدي أنا سامعك وقفت ليه؟

- ممكن أمشي ونكمل المرة الجاية أصلي خلاص تعبت.

- خلاص مفيش مشكلة خالص اتفضل حضرتك دلوقتي وهستناك في جلسه تانية لو تكون خلال الأسبوع دا يبقى أحسن.

- تمام ماشي شكرًا لحضرتك يا دكتور إنك سمعتني النهارده أنت مش متخيل أنا كنت محتاج كدا قد إيه.

- لا شكر على واجب يا فندم.

خرج حمدي من العيادة متجهًا إلى بيته يشعر ببعض الراحة بعد جلسة الحنين للماضي التي عاشها منذ قليل على الرغم من إنها لم تطول ولم يسمع نصيحة واحدة من الطبيب لتخفف عنه إلا أنها أثرت فيه، وصل منزله وهو يفكر في الجلسة القادمة له هل سيبوح فيها بأسراره هل سيخبر الطبيب بما بدل أحواله هل سيذهب من الأساس؟ لمعت عيناه بالفكرة نعم هو الحل المناسب لن يذهب الجلسة القادمة بل لن يذهب مطلقًا لهذا الطبيب أو لغيره، لا يعلم ما الذي دفعه للذهاب من الأساس لكن لن يعيد هذا مرة ثانية، اتجه إلى سريره لينام بعد يوم مرهق.

وفي الصباح استيقظ على صوت المنبة في تمام الساعة التاسعة تذكر أمه وهي تقول «اصحى يا حبيبي هتتاخر» كان يتذكرها كل يوم صباحًا ومساءً لم ينساها أبدا ولن ينساها، نهض ليستعد سريعًا لينزل متجهًا إلى عمله ولكنه تذكر عند نزوله أن يتحدث إلى بواب العمارة الحاج عبده

- صباح الخير يا عم عبده.

- صباح النور يا أستاذ حمدي .. أي خدمة تحت أمرك.

- الأمر لله وحده، أنا بس كنت عاوز حد ينضف الشقة.

- حاضر من عنيا يوم الجمعة هتكون عندك.

- تمام يا عم عبده شكرًا.

دخل ملقيًا السلام على كل من يقابله في ابتسامه جديدة عليه حتى وصل إلى علياء.

- صباح الخير إزيك يا علياء.

- صباح النور إزي حضرتك يا فندم شكل حضرتك أحسن النهارده.

- آه شوية، إيه أخبار الشغل؟

- تمام.

- عندي أي مواعيد النهارده.

- لا يا فندم.

- كويس أوي علشان عاوز أراجع شوية حاجات في الحسابات.

- تمام حاضر.

- لما يجي الأستاذ محمد المحامي دخليه ليَّ المكتب.

- حاضر يا فندم .. اتفضل حضرتك.

دخل حمدي مكتبه وجلس يراجع بعض أوراقه في هدوء استمر على هذه الحالة لثلاث ساعات متتالية حتى قاطعه صوت مرتفع في الخارج فخرج في عجلة من أمره ليجد علياء.

- في إيه يا علياء إيه الصوت العالي دا.

- مفيش يا فندم دا عميل كان مقدم على الحج السنة دي وكان فاكر إنه هيطلع بس للأسف العدد كان اكتمل ولما قولنا له كدا زعق وقال عاوز المدير.

- عاوز إيه يعني؟

- مش عارفة يا فندم.

- طيب دخليه ليّ على المكتب وهدّي الموضوع مينفعش كدا.

- حاضر.

ذهبت إلى العميل قائلة

- اهدى يا فندم مفيش مشكلة.

- أنا مش فاهم أنتم معارضين ليه إنى عاوز أقابل المدير.

- إحنا آسفين .. اتفضل معايا، الأستاذ حمدي المدير في انتظار حضرتك.

هدأ قليلًا واتجه معها إلى مكتب حمدي، دخل ملقيًا السلام.

- السلام عليكم.

- وعليكم السلام، اتفضل يا فندم.

- شكرًا لحضرتك، أنا بعتذر والله على الصوت وكدا بس هما برا كانوا معارضين جدًا إنى أقابل حضرتك مش عارف ليه

- مفيش أي مشكلة، وأنا آسف بالنيابة عنهم.

- الموضوع وما فيه إنى كنت عاوز أطلع الحج معاكم لإن فيه ناس أعرفهم طلعت مع شركتكم قبل كدا واتبسطوا جدًا

- وأنا تحت أمرك ياااا متشرفتش بالاسم.

- أنا المهندس وائل عباس مهندس معماري.

- دا إحنا ممكن يبقى بينا شغل بقى، حضرتك بتشتغل فين؟

- أنا بشتغل في شركة السلام.

- إيه دا إحنا كان بينا شغل فعلًا قبل كدا بس الكلام دا من فترة كبيرة شوية .. كنا بنفتتح فرع تاني لشركتنا والتصميم كان من عندكم بس الفرع دا دلوقتي اتقفل.

- ليه بس يا فندم

- خلينا نرفع الألقاب دا إحنا طلعنا معارف، دي حكايه طويلة يا وائل بس خلاصتها إن أنا وشريكي اختلفنا وفضينا الشراكة وهو أخد الفرع التاني وقفله بعد كدا.

- خير خير.

- طبعًا خير، خلينا نرجع لموضوعنا، خلاص أنت هتطلع الحج السنة دي متقلقش.

- بجد هو دا اللي أنا منتظرة، أنا عاوز أطلع حتى لو هدفع أغلى معنديش أي مانع.

- لا لا سيبك من موضوع الفلوس دا خالص، الحكاية كلها إن كل شركة طيران بيبقى ليها حق تطلع تلت أشخاص تبعها يعني صحاب قرايب كدا يعني حاجة كدا للمجاملات.

- مش عارف أشكرك إزاي والله.

- لا شكر على واجب يا وائل بس ابقى ادعيلنا هناك بس.

- آه طبعا .. فرصة سعيدة جدًا إني اتعرفت عليك ولازم نفضل على اتصال ونتقابل

- أنا أسعد والله .. إن شاء الله.

ألقى وائل السلام وانصرف من المكتب، عاد حمدي إلى اوراقه وانهمك بها مره اخرى منتظرا قدوم الاستاذ محمد المحامى الذى حضر فى خلال ساعه دق الباب ودخل قائلا

- آسف جدًا على التأخير يا باشا.

- فينك يا متر اتأخرت كدا ليه؟

- الطريق واقف واللهِ.

- طيب جهزت ليّ كل الأوراق اللي طلبتها منك ولا إيه؟

- جهزتها كلها.

- طيب كويس أوي .. بقولك يا متر أنا كنت بفكر ابني فرع جديد للشركة في أرض المعادي إيه رأيك؟

- دا تقدم حلو جدًا وطالما الأرض موجودة وبتاعتنا يبقى ليه لأ؟

- أنا كمان بقول كدا وكنت بفكر في الموضوع دا من فترة بس النهارده اتعرفت على مهندس معماري شكله شاطر أوي وممكن يفيدنا خصوصًا إنى لسّه عاملة جميلة حلوة.

- يلا خليه يرد الجميلة بدري بدري.

- على رأيك هاهاها .. المهم أنت تكون جاهز علشان تبتدي في إجراءات الترخيص.

- ماشي يا باشا .. أستأذن أنا بقى.

-اتفضل يا متر

خرج المحامي وظل حمدي يفكر في قراره الجديد وليد اللحظة .. لم يكن يعلم من أين أتت له هذه الفكرة ولكنها تعجبه وسوف يبدأ في تنفيذها.

في صباح اليوم التالي استيقظ حمدي كعادة روتينه اليومي يرتدي ملابسه لينزل سريعًا ولكن رن هاتف المنزل، صوت غريب عليه لم يسمعه منذ أعوام واعتاد على ذلك، ذهب ليجيبه ففجاءه المتصل

- ألو إزيك يا أستاذ حمدي أنا وائل فاكرني.

- وائل .. أيوه طبعًا فاكرك دا أنت ابن حلال والله.

- ربنا يخليك، أنا كلمتهم في الشركة الأول علشان أجيب رقم تليفونك وقولت الحق، أكلمك قبل ما تنزل علشان أعزمك على فرحي وتبقى بداية حلوة لمعرفتنا إن شاء الله.

- ألف مبروك يا حبيبي.

- الله يبارك فيك، إن شاء الله تيجي بقى وتشرفنا.

- دا شرف ليا، إن شاء الله هاجي.

- على العموم هتلاقي الدعوة على مكتبك أول لما توصل، وابقى قولي إيه رأيك فيها بقى.

- إيه عاملها على ورق رسم هندسي ولا إيه؟

- هههههه لا مش للدرجة دي.

- أنت عارف أنت فعلًا ابن حلال، أنا كنت عاوزك في شغل ضروري وكويس إنك اتكلمت.

- لا طالما فيها شغل يبقى الحمد لله إنى اتكلمت، قولي إيه هو؟

- عندي قطعة أرض وعاوز ابنى عليها فرع جديد للشركة وقولت إن أنت بقى بخبرتك الهندسية تعملي تصميم روعة كدا.

- لا إحنا كدا عاوزين مقابلة تعزمني في أي مكان ويكون معاك ورق الأرض علشان أحدد شوية حاجات وبعدين نروح نتفرج عليها مع بعض.

- هو من الواضح إنى اتدبست في غدا

- غالبا كدا يا فندم، ودا علشان إحنا بنحب نعامل العملاء بتوعنا حلو حتى اسأل برا.

- هههههه لا م هو واضح خلاص هعدي عليك بكرة في الشغل ونشوف هنروح فين، اتفقنا؟

- اتفقنا.

- يلا مع السلامة يا وائل.

- مع السلامة.

أغلق الهاتف وهو يضحك من جرائه وائل التي أعجبته وأخذ يفكر في هذه الصداقة السريعة التي صارت بينهم، يتمنى أن تدوم بلا أي تغير يتمنى أن تعود إليه الثقة في أصدقائه يتمنى إلا يخذله وائل كما خذله إبراهيم بخيانته وصديق الإعدادية بتغيره الغريب بعد آخر لقاء بينهم كأنه أصبح شخصًا آخر غير الذي عرفه طوال سنين عمره الماضية، لكن هل له أن يعد وائل صديقًا من لقاء واحد في المكتب ومكالمة تلفونية أم أنها مجرد علاقة سطحية وستنتهي ....

عاد إلى واقعه ليجد نفسه تأخر فنهض مسرعًا إلى العمل عندما وصل اتجه إلى

علياء قائلًا.

-علياء إزيك؟

- الحمد لله إزي حضرتك يا فندم.

- تمام، بقولك بقى كلمي لي المتر محمد بسرعة خليه يجي.

- حاضر.

- صحيح مفيش دعوة فرح جات لي النهارده؟

- موجودة جوا على مكتب حضرتك.

- حلوة.

- هي مين دي يا فندم!

- الدعوة، أصل صاحبها قايل لي أشوفها وأقوله رأيي فيها.

- آه، هي فعلًا مميزة.

- أنتِ عارفة صاحبها على فكرة.

- مين هو؟

- فاكرة العميل اللي كان بيزعق هنا علشان اسمه مجاش في الحج؟

- آه، اللي حضرتك قولت ناخد اسمه معانا ويطلع.

- هو دا، دي دعوة فرحه كلمني وعزمني.

- هو فعلًا كان اتكلم أخد رقم بيت حضرتك.

- هدخل أنا بقى أشوف الدعوة دي لحد لما تكلمى أنت المتر محمد.

- خلاص تمام.

دخل مكتبه وهو ينظر إلى الدعوة الغريبة الموضوعة على المكتب فهي تشبه المخطوطات القديمة والكتابات المكتوبة على أوراق البردي كأنه في عصر

الفراعنة، رفع هاتف المكتب ليتحدث إلى علياء.

- أيوه يا علياء جبيلي رقم الباشمهندس وائل.

- ثواني ويكون عند حضرتك.

عاد إلى الدعوة يفتحها لينظر بداخلها، وجد الكتابة وكأنها مطرزة تحسسها بأنامله فالكلمات بارزة بشكل أعجبه كثيرًا وبينما كان عقله مذهول «يا ابن الجنيه ليك حق تسألني عن رأيي فيها دي فظيعة»

كانت علياء تطرق على الباب فأذن لها قائلًا

- ادخلي يا علياء.

- اتفضل يا فندم الرقم.

- شكرًا، فين المتر؟

- قال نص ساعة وهيكون هنا.

- خلاص روحي أنتِ دلوقتي.

- بعد إذنك.

خرجت هي وعاد حمديٍ إلى ذهوله، رفع الهاتف وضغط رقم وائل، أخد ينتظر الرد حتى جاءه صوته قائلا

- شكل الدعوة عجبتك

- عرفت إزاي أنه أنا؟

- أصْلي كنت مستني مكالمتك دي.

- دا أنت واثق بقى.

- أنت شايف إيه، بس هي تستاهل بردو.

- هي فعلًا جديدة، شكل شغلك هيبقى حلو.

- هتشوفوا قريب إن شاء الله.

- على معادنا بكرة صح.

- صح بس هطلب منك تأخره على قد ما تقدر خليه على خمسة ستة.

- ليه مش هنتغدى.

- لا دا علشان بروح الشركة اليومين دول متأخر وكمان بتغدي متأخر.

- وأنا اللي كنت فاكرك نسيت.

- هاهاهاها لا مش أنا.

- خلاص على معادنا المتأخر بكرة، سلام بقى.

- ماشي، مع السلامة.

أغلق حمدي الهاتف وأكمل وقته يوقع على بعض الأوراق الموضوعة أمامه ويتفقد البعض الآخر منتظرًا قدوم المحامي ليخبره بأن يبدأ في إجراءات ترخيص الفرع الجديد، بالفعل بعد مرور نصف ساعة رن هاتف المكتب، كانت علياء

- الأستاذ محمد المحامي وصل يا فندم.

- خليه يدخل.

أغلقت الهاتف قائلةً اتفضل يا متر الأستاذ حمدي في انتظار حضرتك، نهض محمد ودخل على صوت حمدي وهو يرحب به

- أهلًا أهلًا يا متر فينك من الصبح.

- معلش سعادتك عارف المشاغل بقى.

- دا المشاغل لسه جاية.

- يا أهلًا بيها، خلاص هنبدأ في الإجراءات ولا إيه؟

- آه خلاص دا أنا كمان كلمت المهندس وائل علشان يبقى معانا وهو اللي هيعمل التصميم هقابله بكرة وهحتاجك بقى تسيب ليّ ورق الأرض مع علياء.

- المقابلة دي هتكون امتى؟

- بكرة الساعة ستة تقريبًا.

- تمام أوي كدا الورق هيكون كامل الصبح مع علياء.

- كدا أنا لازم آجي هنا بكرة.

- معلش تعالى خده وامشي على طول.

- ماشي مع إني كنت ناوي آخد بكرة أجازة خالص من الشركة.

- صحيح يا باشا لو عاوز تبيع حتة الأرض اللي في ستة أكتوبر، أعرف حد عاوزها.

- ومين قالك إني عاوز أبيعها؟

- يعنى أنا قولت بما إنك داخل على مصاريف كتير في ممكن تكون عاوز تبيعها تسند بيها.

- لا لا مش عاوز أسند ولا حاجة أنا عاوزها.

- براحتك واللهِ دا مجرد اقتراح بس.

- أصل المستقبل جاي للأرض دي لسه والحكومة مهتمة بالمكان هناك وشكلها هتروق عليه وكمان الأرض بتاعتي مساحتها حلوة.

- عندك حق والله من عان شيء قاله الزمن هاته بردو.

- عليك نور ساعات كدا بتقول حكم.

- شكرًا، أمشي أنا بقى ولا في حاجة تانية.

- لا اتفضل أنت يا متر واوعى تنسى الورق بكرة.

- مش هنسى إن شاء الله.

بعد أن أنصرف المحامي أراد حمدي أن يفصل نفسه قليلًا عن جو الشركة والعمل فأخذ يدور بعينيه في أرجاء المكتب حتى وصلت عينه إلى التلفاز الموجود في جانب الغرفة والموضوع على طاولة صغيرة تذكر أنه لم يفتحه منذ فترة طويلة كان منهمكًا فيها بين أوراق العمل لم يفكر أبدًا في تغير جو حياته بدخول سينيما أو مسرح أو حتى النزول إلى الشارع بلا أي هدف فقد قضى حياة عقيمة تشبه

حياة رجل في الستينات من عمره في الفترة الأخيرة، حياة لا تتماشى مع شخصيةٍ حمدي القديمة، نهض من مكانه وذهب ليجلس أمام التلفاز بعد أن فتحه ممسكًا بالريموت ليتنقل بين قنواته القليلة يرى ما هو الجديد أو حتى يشاهد فيلمًا قديمًا لإسماعيل ياسين أو عبد الحليم حافظ لكنه لم يتوقع أن ما يجذب انتباهه في النهاية بعد هذا التنقل المستمر هو برنامج طبخ ربما لأنه كان عن طبخ الأسماك التي يفضلها أو ربما كان جائعًا وهذا هو الأرجح.

مضى من الوقت ساعه حتى انتهت الحلقة ودون المقادير وطريقة التحضير ليقوم بإعدادها لنفسه في يوم ما، بعد أن انتهى قرر الرحيل من الشركة لا يعرف إلى أين ولكن ربما إلى البيت ليرتاح قليلًا فنهض وأخذ مفتاح سيارته ثم تذكر الدعوة فقرر أن يأخدها ليحتفظ بها في البيت.

واتجه إلى علياء قائلًا

- علياء أنا همشي وعاوزك بكرة تيجي في معادك علشان المتر هيجيبلك ورق الصبح وأنا هبقى آجي آخده.

- حاضر، هو حضرتك مش هتيجي بكرة؟

- غالبًا كدا.

يشعر بالجوع فكان أول ما يفعله بعد دخوله المنزل أن يتجه إلى المطبخ ويفتح الثلاجة بحثًا عن شيء قابل للأكل ليسد جوعه بعيدًا عن أكل المطاعم الذي تعود عليه في الفترة الأخيرة، ثم إلى غرفة نومه وبيده الدعوة وضعها فوق الكومودينو جانب السرير ثم استرخى عليه ليأخد قيلولة سريعة.

في نفس هذا الوقت كان وائل واقفًا يبدو عليه الإرهاق في قاعة عرسه يضيف بعد التعديلات التي أرادتها خطيبته، اتفق مع مدير القاعة على كل ما يريد من تغير أماكن الطاولات ولون المفارش وحتى الموسيقى التي يحبها، يريد أن تكون ليلة زفافه ليلة مميزة لا تحتمل لأى خطأ كان، أنهى كل شيء وخرج ليتناول العشاء مع خطيبته في أحد المطاعم، سبقها إلى هناك لكن لم تمر ثوانٍ حتى جاءت بعطرها الفواح.

- أهلًا أهلًا إزيك يا نور.

- كويسة وجعانة جدًا.

- طيب اقعدى الأول وقوليلي تطلبي إيه؟

- لا اطلب ليّ أنت.

- إحنا مش كبرنا على الحركات دي بقى ولا إيه؟

- نعم إزاي؟

- يعنى خلاص عدينا مرحلة اطلب ليّ أنت وهاكل اللي تحبه وهاكل زيك إحنا خلاص خلصنا الخطوبة وفرحنا قرب

- تصدق إنك رخم.

- كتير قالوا ليّ كدا بس مصدقتش.

- واللهِ .. طيب خلاص أنا هطلب لنفسي.

- استني بهزر أنا هطلب.

- آسفة إحنا عدينا مرحلة الخطوبة مش هينفع.

- مين قال عديناها دي إحنا لسّه فيها هطلب أسماك إيه رأيك؟

- ماشي.

- أمال فين الجارسون؟

- جاي وراك أهو

التفت وائل قائلًا جيت في وقتك.

- أهلا بحضرتك يا فندم تحب تطلب إيه؟

- بُص هات لي اتنين شوربه بحر ورز بالجمبري وعاوز كمان سمك فليه وطاجن سمك لوت وسلطاتك بقى ونظامك

- حاجة تانية يا فندم.

- لا كفاية علشان لسّه هاكل في البيت.

- تمام يا فندم بعد إذنك.

ضحكت نور قائلة «طيب الراجل ذنبه إيه»

- دا أنا كنت بحاول أضحكه، أُصْلي حاسيته قافل كدا.

- ماشي، قولي بقى عملت إيه في القاعة.

- لسّه جاي من هناك واتفقت مع المدير على كل حاجة.

- اوعي تكون نسيت تقول على الأغاني.

- قولت له منستش حاجة لا تقلقي.

- مش هقلق هاتيجي معايا بكرة وأنا بختار الستاير.

- بكرة مش هعرف عندي مقابلة شغل كدا.

- برا المكتب ولا إيه؟

- فاكرة موضوع الراجل صاحب شركة السياحة اللي قولتلك عليه.

- آه.

- الراجل بعد لما عملي الجميلة دي علشان أحج لأمي زي ما كان نفسي الحمد لله، كان عرف إني مهندس معماري وهو رايح يبني فرع جديد للشركة بتاعته فقالي إنه عاوزنى أنا اللي أصمم التصميم بتاعها وهقابله بكرة بقى علشان نتفق.

- ربنا يوفقك ومش مشكلة الستاير ماما هتيجي معايا.

- أنتِ عارفة بعد لما دخلت مكتب الراجل دا حسيت إنى أعرفه من زمان وحبيته فعلًا لدرجة إني بعدها بعتله دعوة لفرحنا وكلمته علشان أعزمه كمان وأنا بكلمه بقى قالي أنت ابن حلال وقالي على موضوع التصميم والفرع الجديد.

- القدر لعب لعبته وخلاك تكلمه وهو أصلا بيدور عليك.

- عندك حق .. الحمد لله.

- على فكره دعوة الفرح عجباني جدًا ومجننه كل الناس.

- أنا مكنتش متخيل إنها هتطلع حلوة أوي كدا.

- فعلًا طلعت روعة.

- عقبال الفرح كمان يبقى زي م إحنا عاوزين .. الأكل جاي هناك أهو أخيرًا.

- يااااه دا أنا نسيت إني جعانة

- أول لما ينزل قدامك دلوقتي الذاكرة هترجع على طول.

ضحكا سويًا وتناولا الطعام، أخذ وائل يتحدث عن فرحته التي لا تقدر لأنه أخيرًا سيقيم مناسك الحج لأمه بعد أن قام بها لنفسه وسارة تهنئه على ذلك وتتحدث عن ليله زفافهم التي تقترب وإنه لا يفصل بينها وبينهم سوى شهرين ومستقبلهم الباهر بعد ذلك ..

بعد ساعتين من بناء خطط المستقبل والكلام المتواصل طلب وائل الحساب من أحد العاملين ثم ترك النقود على الطاولة ورحلوا، أسرع خطواته تجاه السيارة ليفتح الباب أولًا لخطيبته قائلًا

- اتفضلي يا سنيورينا.

ضحكت لأنها لم تتعود منه على هذا فمن المعروف عن شخصية وائل كرهه للرومانسية والتلقائية والوضوح مع روح الفكاهة وقبل أن تصرح له بذلك رد عليها.

- أكيد بتضحكي عليَّ، بس أنا لسه شايفها في فيلم امبارح وحبيت أجرب.

- بس يجي منك.

- طمنتيني على مستقبلي.

فتح حمدي عينيه وآذان الظهر معتمدًا على عدم ذهابه إلى العمل في هذا اليوم، كأنه استغل الفرصة لتغير دوره حياة دودة القز التي كان يعيشها، استيقظ متأخرًا لكن بكل نشاط أعد فطورًا كاملًا تناوله ثم اتجه إلى دولابه ليختار شيئًا يرتديه،

وهو في قمة سعادته يدندن بعض الأغاني حتى أصبح بأكمل استعداده للرحيل، أخذ بعض الأوراق ومفتاح المنزل، فكر أن يترك مفتاح السياره ويذهب سيرًا على الأقدام، لكن عندما أدرك المسافة التي تفصله عن مكان عمل وائل، وضع المفتاح فى جيبه، خرج متجهًا إليها، تحرك ولكن ليس لمكان محدد فموعده مع وائل لم يأت بعد، ظل يتجول بين الشوارع يدخل في واحد ويخرج من الآخر، حتى وجد نفسه أمام بيت إبراهيم صديق الإعدادية، توقف قليلًا ليتفقده، وجد نوافذ مفتوحة وتوجد حركة كأنه بالداخل ، تعجب في نفسه قائلًا

- كنت بتنصحني أعرف ناس وأعمل صداقات جديدة .. وأنت اتخليت عني زي أي حد، بس أنا هتعرف وهصاحب ناس جديدة يا إبراهيم.

فلتت أعصابه فضغط بكل قوته على البنزين حتى أوشك المؤشر أن يصل إلى آخره، هدئ السرعة تدريجيًا وأكمل دوران بين الشوارع وقبل موعد الغداء بقليل، اتجه إلى الشركة ليحضر أوراق الأرض من علياء، ثم بعد ذلك ذهب ليأخذ وائل من مكان عمله، صف سيارته ليدخل الشركة متسائلًا عن المهندس وائل، توصل إلى مكتبه وطلب من السكرتيرة إخباره بوجوده، ذهبت لتخبره، خرجت وهو خلفها محييًا حمدي قائلًا

- أهلًا أهلًا حمدي باشا.

- أهلًا يا باشمهندس.

- جيت في وقتك دا أنا جعان جدًاا

- إحنا مش هنقعد شوية ولا إيه؟

- لا نقعد فين يلا بينا.

- طيب فرجني على مكتبك.

- أفرجك إيه؟ .. هو أنا جايب ابني معايا.

- يعني مش هنقعد شوية؟

- نقعد فين بس يلا بينا ولا أنت بتحاول تهرب؟

- ولا بهرب ولا حاجة يلا بينا.

احتل وائل الكرسي المجاور له، اتجها إلى مكان هادئ على النيل لينفذ حمدي وعده ويتطلع وائل على أوراق الأرض ليعرف موقعها ومساحتها، تناولا الغداء وتناقشا عن التصميم كم سيستغرق من وقت ومال ليصبح وجهةً مشرفةً تُحيي اسم الشركة من جديد، لكن كل هذا يتوقف على سفر وائل أولًا

- أنا جيت أسلم عليك قبل السفر وأطمنك على التصميم.

- أهم حاجة تدعيلنا هناك.

- إن شاء الله .. أنت أكيد بتاخد ثواب كتير بسبب رحلات الحج والعمرة اللي بتطلعها.

- الله أكبر.

- ما شاء الله يعني .. متخافش.

- طيب ما كمان في رحلات في أماكن تانية وحفلات .. باخد عليها إيه دي!

- بيشيلوا بعض أكيد.

- ربنا يتولانا.

- آمين .. مش عاوزك تقلق على التصميم أول لما أرجع هخلصه.

- يعني هستنى كمان أسبوعين.

- مش كتير.

- لا مش كتير خالص .. أهم حاجة ترجع بالسلامة.

- الله يسلمك .. يلا أنا همشي بقى لسّه عندي حاجات كتير أعملها، كنت عاوز أشكرك على وقفتك معايا في موضوع الحج وأقولك إني حبيتك جدًا وحسيت كأنى أعرفك من زمان ويا رب القلوب تبقى عند بعضها.

أكمل وائل كلامه يمدح ويشكر مؤكدًا على استمرار معرفتهم إلى الأبد لتكون

صداقة قوية ليست مجرد معرفة عمل أو مصلحة

حمدي يستمع إليه بإنصات، عيناه تتابع حركاته وعلى وجهه ابتسامة هادئة بينما عقله في حيرة بين رغبته في إتمام ما يسمع من كلمات وما يمر أمامه في شريط حياته والجمله التي لم تتركه منذ يوم الجريمة «مفيش حاجه اسمها صحاب» .. لمن سينصت يا تُرى؟

مر حمدي بأصعب فترات حياته يسيطر عليه إحساس الوحدة القاتل، لم يشعر به من قبل بسبب وجود والدته وبعد فراقها كان إبراهيم قد ظهر بالفعل وعند ابتعاده ظهر وائل كأن حياته لا تتحمل سوى وجود شخص واحد فقط فإن ظهر آخر اختفى الأول، ليست بحياة إنسان طبيعي في مجتمع البشر كل يوم يمر عليه تزداد دائرة علاقاته أكثر وأكثر ولا بحياة إنسان انطوائي الطبع يحب الانغلاق على نفسه، حالة وسط بين الاثنين تحتوى على أشخاص لكن بإعداد محدودة.

في المساء بعد مرور الوقت الذى ظل يحسبه ليلتقي بوائل من جديد على الرغم من أن معرفتهم ببعض لم تكن قوية لدرجة الاشتياق لكن لمجرد أنه الشخص الوحيد بعالم حمدى دافع كافى لينتظر لقائه ، إحساسه بالوحدة واشتياقه هذا جعله يفكر أن وائل أصبح يشكل فارقًا في حياته، كأن عقله بدأ في تنفيذ كلمات آخر لقاء لهما، رفع سماعه الهاتف وضرب رقمه مرت ثوانٍ حتى أجابه قائلًا

- ألو.

- مصر نورت والله.

- يا أهلًا يا أهلًا إزيك يا حمدي؟

- الحمد لله إزيك أنت بس يا شيخنا؟

- تمام الحمد لله.

- تقبل الله.

- منا ومنكم.

- مش هنشتغل بقى ولا إيه؟

- حاسس إنك مستعجل شوية دا أنا لسّه راجع.

- طيب سيبك من الشغل أنا عازمك بكرة.

- أهو دا الكلام.

- أكلة سمك كمان وأنا اللي هعملها.

- يبقى خلينا في الشغل، كنت بتقول عاوز التصميم يخلص امتى؟

- طيب والسمك؟!

- حاسس إنى مش بحبه.

- شكلك مش واثق في قدراتي

- أنت عندك قدرات في الطبخ .. عملت حاجة قبل كدا؟

- ولا مرة بس عندي قدرات.

- هعمل أنا إيه بالقدرات لما الأكل يطلع وحش؟

- لا لا متقلقش دي وصفة مضمونة.

- ماشي نجرب، بس لو طلع وحش هننزل ناكل من أحسن مكان.

- ماشي.

- وعلى حسابك.

- ماشي.

- اتفقنا.

- هستناك بكرة بقى .. مع السلامة.

أنهى المكالمة وقرر النزول على الفور لإحضار بعض الأغراض التي سيحتاجها في أكلته، لم يستغرق منه الأمر أكثر من ساعتين ثم عاد، رتب الأغراض واتجه إلى سريره عملًا بقاعدة «نم مبكرًا تستيقظ مبكرًا».

لم يذهب إلى العمل في الصباح بل دخل المطبخ وتحول من شخصية الأستاذ حمدي المدير إلى الشيف حمدي، استغرق طوال النهار في تجهيز وجبه السمك لم يتوقع أنه سيحتاج كل هذا الوقت فلو كان سيبدأ لإعداد الوجبة من اصطياد السمك لما أخذ كل هذا، لكن لعل المذاق يستحق.

رن جرس الباب، علم أنه وائل بالتأكيد فالشخص الوحيد الذي يدق هذا الباب عاده في أجازته الشهرية الآن، فمن يكون إذن؟ اتجه إليه ليفتح قائلًا

- يا أهلًا يا أهلًا

- أهلًا بيك والله.

- اتفضل يا وائل العمارة كلها نورت.

- منورة بأهلها، ادخل عادي ولا في حد؟

- اتفضل أدخل مفيش حد.

- أنت عايش لوحدك ولا إيه؟

- آه، أمي الله يرحمها من فترة قريبة

- الله يرحمها، أنت مش متجوز؟

- مطلق بقالي فترة طويلة ومعرفش عنها حاجة علشان مفيش بينا ولاد.

- ربنا يرزقك بالزوجة الصالحة قريب.

- لا شكرًا أنا نسيت الموضوع دا من سنين.

- ليه بس؟

- أنا بقول نخلينا في السمك أحسن.

- بتهرب أنت، ماشي إيه أخبار السمك؟

- جاهز.

- عاوز أعرف بس حماتي هتكون بتحبني ولا لأ أنت عارف أنا داخل على جواز.

- لا هتحبك .. وبعدين أنت أصلًا عارف إنك جاي تاكل يعني مش داخل والأكل محطوت علشان أقولك حماتك هتحبك ولا لا؟

- أنا أعرف بقى، أنا بلاقي الناس كلها بتربط حب الحمى بالأكل قولت أربط أنا كمان.

- أيوه أخيرًا جاتلي الفرصة إني أجرب.

- طبعا، داأنا مستني أتجوز علشان أقول الجملة دي أصلًا.

- هدف بردو.

- إحنا هنقضيها كلام كدا ولا إيه؟

- لا يلا نجيب الأكل بقى.

- يلا.

- حاسك مستعجل!

- فعلًا .. خطيبتي مستنياني كمان ساعتين علشان نظبط شوية حاجات، أنت عارف الفرح قرب.

- لا براحتك يا عريس .. وأنا اللي كنت فاكر إننا هنتكلم في تفاصيل الشغل وهنشوف هندخل في الجد امتى؟

- مرة تانية متقلقش، المرة دي للأكل وبس.

- يا رب يطلع حلو.

- لا دا أنا جاي في مهمة رسمية أكل واحكم وأمشي

- ماشي

تناولا وجبة السمك معًا وأبدى وائل رأيه فيها بكل صراحة موضحًا أن الطعام مدارس وأنواع وأن الصنف الواحد يختلف طعمه من مطبخ لآخر ومن بلد لأخرى، أخذ يحلل كأنه أحد خبراء الطعام على وجه العالم فقاطعه حمدي.

- إيه يا عم المحلل الرياضي؟

- مش بعرفك إزاي تبقى زواقة.

- مش عاوز أعرف غير حاجة واحدة، السمك عجبك ولا لأ؟

- مطلعتش قليل وعجبني.

- مش قولتلك عندي قدرات؟

- هتاخد مقلب في نفسك هقولك إنه معقول يعني بالنسبة لأول مرة.

- شكلك باين عليه الانبهار ومش هتقدر تغير كلامك خلاص.

- انبهار مرة واحدة؟

ضحكا معًا مكملين حديثهم مع الطعام، بعد وقت قصير، استأذن وائل ليرحل لكن طلب منه حمدي انتظاره لينزل معه.

مع اقتراب موعد زفاف وائل اختفى عن الأنظار لمدة شهر تقريبًا، رشح حمدي أن تجهيزات الزفاف سبب أساسي في هذا الاختفاء وعليه أن يتصل هو ليعرض عليه أي مساعدة، بالفعل اتصل لكن جاءه صوت غريب هذه المرة.

- ألو.

- أيوه .. وائل؟

-لا أنا أخوه.

- أهلًا وسهلًا .. ممكن أكلم وائل لو سمحت.

- للأسف هو مش موجود دلوقتي .. تحب لما يجى أقوله مين؟

- قوله حمدي، عمومًا أنا كنت بكلمه علشان لو محتاج أي حاجة من تجهيزات الفرح.

-حاضر، ياه دا التجهيزات دي مش بتخلص.

-يلا ربنا يعينكم.

- تسلم يا رب، مع السلامة.

- مع السلامة.

تخيل أن وائل سيتصل به عندما يعلم باتصاله لكن خاب تخيله بعد مرور أكثر من يومين ولم يظهر على الأفق ، مع هذا لم يتردد في الذهاب إلى العرس، أيا كانت تصرفات وائل فهو في وقت غير قابل للحساب.

في يوم الزفاف، استعد بالفعل وارتدى بدلته الأنيقة، أصبح في كامل أناقته وعلى أكمل استعداد ليتجه إلى الحفل، وصل في معاد مناسب مع دخول العروسين، حمد ربه على هذا لأنه لا يعرف أي شخص من الحضور، يشعر بالإحراج وتضاعف هذا الشعور عندما اتجه إلى العريس ومد يده للسلام فنظر إليه باستنكار ثم استدار إلى أحد أصدقائه ليعانقه! وظلت يد المصدوم معلقه في الهواء، توقف عقله عن الاستيعاب، أصبح غير قادر على ترجمه ما حدث، كأنه مولد حراري انقطعت عنه الطاقه بشكل مفاجئ.

2016

فى شارع عبد العزيز المتفرع من ميدان التحرير الساعه الواحده منتصف الليل ...

- أنت فين؟

- في العربية.

- مش مصدقة صوت مين اللى جمبك دي؟

- آه، دي دي إليسا حتى هخليها تكلمك.

- فايق أنت ورايق.

- وأنتِ يرضيكي أكون متدايق؟

- لا ميرضينيش بس ممكن تخليك معايا وتهتم شوية بكتب كتابتا اللي قرب دا؟

- لقيتي الفستان ولا لسّه؟

- لا لسّه.

- م هي دي مشكلة البنات بقى .. أنا الحمد لله هي بدلة الإعدادية اللي حضرت فيها كل أفراح صحابي هلبسها وآجى في ثانية.

- ومالك مكلف كدا ليه؟

- لا إلا الشياكة، لازم أصرف على نفسي وأتدلع .. بقولك إيه م تعملي زيي.

- معنديش فستان من الإعداديه للأسف.

- ولا حتى من الابتدائية؟

- نعم؟!!!

- بهزر يا ستي .. دا أنا هنزل معاكي ونجيب أحلى فستان تشاوري عليه.

- ودا هيبقى امتى بقى؟

- تحبى يكون امتى؟

- بكرة بعد المغرب.

- ماشي بس نخلص قبل العشاء، أصْلى بنام بدري.

- شكلك متعرفش البنات بتحتاج وقت قد إيه في مهمة زي دي.

- سمعت بس مجربتش.

- هتجرب عملي بكرة متقلقش.

-براحه عليَّ

- هاهاهاها متخافش متخافش .. قولي أخبار جثث الشغل إيه؟

- مفيش جثث جديدة الحمد لله هنبتدى في آخر عمارة وعاوزين في خلال ست سبع شهور نخلص وممكن أسرع من كدا.

- دا أنتم مستعجلين بقى؟

- أنت مش متخيلة مجدي مستعجل إزاي .. بس بصراحة المشروع بالنسبة ليه مش مربح أوي أو مش زي ما هو توقع.

- يلا خير، المهم تخلصوا، دا مشروع عجيب.

- فعلًا بس أنا مش هرتاح غير لما أعرف مين اللي بيعمل كدا.

- رامي اوعى تدخل نفسك في حاجة ومتخاطرش وسيب الشرطة تشوف شغلها ملناش دخل

بحاجة اتفقنا؟

ابتسم وهو يقول في نفسه الحب يعمل أكتر من كدا ثم أجابها

- طبعًا طبعًا يا حبيبتي.

- وصلت ولا لسّه؟

- وصلت فين؟

- البيت ... مش أنت مروح؟

- آه بركن وطالع أهو مش مصدق إنى أخيرًا هنام.

- طيب تصبح على خير.

- وأنتِ من أهله.

لم ينم بسرعه كما تخيل فالحياة تغيرت أصبح لدى معظمنا عادة التجول في مواقع التواصل الاجتماعى قبل النوم، نعتقد أن هذه الجولة لن تستغرق منا سوى دقائق معدودة لكنها في الحقيقة تكون ساعات معدودة لا نشعر بمرورها.

صباح اليوم التالي والساعة تدق التاسعة رامي يصل الموقع ليجد عبد الرحمن في انتظاره

- ها يا رامي فين الونش؟

- طيب قول صباح الخير الأول؟

- صباح الخير الأول .. فين الونش؟

- أنا فاكره هيكون هنا من بدري!

- لا مجاش.

- كنا عاوزين ننجز الحوار دا ونخلص كله مع بعضه.

- هنعمل إيه بقى .. تعالى نبص على العمال.

- عبده، عاوز أقولك إن كتب كتابي الجمعة الجاية وأنت أكيد مش محتاج عزومة.

- مبروك يا عريس.

- الله يبارك فيك يا حبيبي.

- على كدا بقى متجيش اليومين الجاين دول وأنا هكون هنا مكانك.

- هما دول الكلمتين اللى مستنيهم.

- قول كدا بقى.

- هاهاهاها، لا لا اوعى تفهمني صح.

- يا عم ولا يهمك إحنا في خدمتك بردو يا عريس.

- بتحرجني بذوقك واللهِ.

باشروا عملهم وقبل موعده مع خطيبته بساعتين قدم الأعذار إلى صديقه ليرحل مُأكدًا عليه أن يرحل هو أيضًا قبل حلول الليل.

توجه إلى منزل مريم وقبل أن يصل أخبرها لتستعد، لم ينتظر كثيرًا حتى أتت، جلست جواره ليبدأوا رحلتهم الطويلة، كان أول ما فعله في الطريق أن توقف أمام أحد المحلات ليشترى الكثير من الحلوى والعصائر المعلبة والصودا كأنه يستعد لإقلاع رحلة جوية أو لمعسكر صحراوي، حتى أن مريم تعجبت منه قائلة

- إيه كل دا!

- باخد كل احتياطاتي بس.

-احتياطات إيه .. دا لو كانوا قالولك إن المحلات هتقفل مش هتعمل كدا.

- أنا قولت بس أجيب حاجة تسليني لحد ما تختاري الفستان.

- لا اقنعتني بجد، اتحرك بقى عشان منتأخرش.

بدأت رحلة البحث عن الفستان المناسب والتي استغرقت أكثر من ستة ساعات لم تترك فيهم مريم فستانًا إلا نظرت إليه أو ارتدته ثم تتركه في النهاية معلقة على اللون أو التفصيلة، مع كل فستان تلمسه يتمنى رامي أن يكونٍ هو صاحب الحظ والنصيب لكن سرعان ما تتحطم أحلامه بتركها إياه فيتمنى حظا أوفر المرة القادمة، انشغل بتناول الحلوى التي أوشكت على النفاذ قبل مقابلة فستان الأحلام، الوقت يمر والمشهد يتكرر نفسه مع اختلاف بسيط في الديكور بتغير المكان وما زال البحث مستمر عن الفستان المفقود حتى لمحت مريم فستان بدرجة احمرار الورد الجوري في فصل الربيع مطعم بدرجة الفل الأبيض ينطبق عليه كافة المواصفات، أخذته غرفة القياس وهي تشعر أنه المطلوب ، بالفعل قررت أن تشتريه بعد ان تأكدت إنه المناسب فعليًا، لا يمكن تقدير فرحة رامي وقتها

كأنه قام بتأمين مستقبله إلى الأبد، تقدم ليسدد الثمن المطلوب ثم اتجه إليها ليهنئها قائلًا

- ألف ألف مبروك والله.

- الله يبارك فيك.

- دا آخر فستان هتشتريه في حياتك صح؟

- أكيد لأ يعني

- أمال إيه لازمة اللف دا كله كأنه فستان العمر.

- الله يا رامي مش لازم أختار.

- تختارى إيه بس دا أنا مش قادر أقف على رجلي.

- أنت بتدلع على فكرة.

- بَتْ إيه؟

- بتدلع، إحنا ملفناش غير كام ساعة وكمان جبنا الفستان في يوم واحد بس.

- ودا يعتبر إنجاز يعني؟

- طبعًا.

- طبعا!، طيب اركبي يا عروسة وابقى فكريني مجيش معاكِ تاني في أي رحلة من رحلات الشوبينج الممتعة دي.

- أمال مين هيشترى فستان الفرح؟

- هو مين اللي هيلبس فستان في الفرح؟

- أنا.

-خلاص يا حبيبتى يبقى مين اللي هيشتريه؟

- بقى كدا؟!

- أيوه كدا ولن أتنازل عن موقفي أبدا.

نظرت إليه عاقده الحاجبين بابتسامه ساخرة قائلة

- هنشوف

مما جعله يضحك تخفيفا لحده الموقف ولتدرك أن كلامه للمذاح فقط، أوصلها بيتها وانطلق يحلم بالاسترخاء، لا يشعر بعظامه ولا يعلم هل شعوره بالتعب هذا تهويلًا للموقف أم لأنها المرة الأولى له في عالم تسوق الفتيات ومع الوقت سيكتسب المناعة اللازمة فمريم لا تشعر بالتعب مثله كأنها لم تكن معه.

اليوم المنتظر في المسجد، دقائق معدودة وتبدأ اللحظات الفارقة في حياته، الجميع مستعد لعقد القران، رامي يجلس أمام خال العروس الوكيل عنها، يضعان أيديهم ببعض ليبدأوا، أما عروسنا المصون فتجلس بفستانها الرقيق وسط الفتيات عيونها تدمع من شدة الفرح تشعر وكأنها تحلم ولا رغبة لديها في الاستيقاظ، بدأت مراسم العقد تُقرأ بصوت يجلجل في أرجاء المكان والجميع في حالة صمت شديد يتابع الموقف بانتباه حتى انتهت بصوت رامي يكرر «قبلت زواج موكلتك الآنسه مريم محمد عبد الملك البكر الرشيد على سنه الله ورسوله وعلى الصداق المسمى بيننا « ثم ارتفعت التهاني من الحضور للعروسين

- أنا جاي بدري أهو النهارده علشان نحفر ونحط الأساسات ونخلص ونشطب ونسلم الشقق كمان.

- إيه دا بس .. العريس منورنا من بدري بنفسه.

- أيوه .. علشان تعرفوا الجمايل.

- مش عارفين نودي جمايل سعادتك فين واللهِ.

- لولا بس إني عاوز أخلص من المشروع دا بأي شكل.

- يعني دا السبب الوحيد.

- م هو أكيد أنت مش واحشني يعني يا عبده علشان آجي أشوفك بدري كدا.

- نظرية بردو.

- خليك شاهد إن أنت اللي بتضيع الوقت أهو وإنى جاي متحمس للشغل وأنت بتكسر مقاديفي.

- لا مقاديف إيه يا عم المركب يلا بينا الناس بدأوا شغل أصلًا.

- توكلنا على الله.

بدأت عملية الحفر الأخيرة في هذا المكان، الكل يعمل لا لشيء سوى لإنهاء هذا المشروع ونزع صفحته من حياتهم لمحو أي أثر سلبي لها، لم يتوقف العمل إلا عند قدوم أحد العمال بكيس من البلاستيك ممزق من أغلب الأماكن كاد يفقد هيكله الأساسي قدمه لرامي فسأله قائلًا

- إيه دا؟

- معرفش يا باشمهندس أنا لقيته.

- وجايبه ليَّ أعمل بيه إيه؟

- أصل جواه حاجات غريبة شوية.

- جواه إيه؟ وريني كدا.

- بطايق بتاعه ناس بس شكلها قديمة أوى وكمان ساعة وميدالية وورقة لونها أصفر كدا.

- إيه الحاجات دي بتاعة مين؟

- والله ما أعرف يا باشمهندس.

- طيب لقيتها فين؟

- كانت مدفونة وطلعت مع الحفر.

- طيب سيبهم وامشى أنت كمل شغل.

- كمان كان في قماش مقطع كتير كإنه هدوم كدا بس إحنا رمناه.

- ماشي ماشي.

- يا صباح الخير يا عروسة.

- قول مساء الخير.

- هي متأخرة أوي كدا

- أنت شايف الساعة كام، دا أنا مروحة من الشغل.

- يا ستي عديها.

- طيب إزيك؟

- أنا الحمد لله زي الفل وأنتِ.

- كويسة الحمد لله من الصبح مش بقول غير كلمة واحدة « الله يبارك فيكِ» وأحيانا بزود «عقبالك»

- هاهاهاها أنا بقى مقابلتش غير العمال.

- يا بختك.

- يا بختي إيه بس، م أنتِ لو تعرفي أنا رايح فين دلوقتي مش هتحسديني خالص.

- خير رايح فين؟

- رايح القسم، المكان المحبب إلى قلبي في الفترة الأخيرة.

- أنت المفروض اتعودت خلاص بقى.

- عندك حق واللهِ

- عدد الجثث كام المرة دي؟

-خلاص بقيتي بتتكلمي عن الجثث عادي كدا؟

- دا من العشم بس والله.

- هاهاهاهاها، طيب مفيش جثث.

- أمال رايح ليه؟

- مفيش يا ستى العمال لقوا حاجات غريبة وهما بيحفروا، كيس فيه كذا بطاقة لكذا شخص وحاجات تانية فقولت أروح أوديهم لعماد جايز ينفعوه في مستقبله.

- لا ربنا معاه ومعاك.

- متشكرين على الدعوة، أسيبك بقى دلوقتي وهبقى أكلمك بعدين.

- تسيب مين أنا اللي مش فاضية أصلًا، سلام.

1997

وها هو الوقت يمر على حمدي وحالته تسوء أكثر مما كانت عليه لا يدرى لما يبتعد عنه كل من دخل دائرة حياته، كل صداقاته تبوء بالفشل، كأنه أصبح غير صالح لمثل هذه العلاقات في المجتمع، أحيانًا يتخيل لو كان له أخ لاكتفى به خير صديق وكفاه معرفة الغرباء، كلما تذكر رفض إبراهيم لمقابلته في مكتبه وتجنب وائل له يلومهم أكثر، يلومهم على قسوتهم معه وإخفائهم لسبب تلك القسوة حتى وصل بهم الأمر إلى حرمانه حق الدفاع عن النفس إن كان هو المذنب وما الذي أذنب فيه، هل هو بهذه السذاجة لينال منهم هذه المعاملة أم أن معرفتهم له لم تكن صداقة بل مجرد معرفة مؤقتة لينالوا تخفيض جيد على التذاكر وخدمة ممتازة أثناء السفر!

لم يتوقف عن التفكير فيما حدث به منذ سبع سنوات يوم افتتاح الفرع الجديد للشركة وحتى يوم زفاف وائل، كل هذه المدة كفيلة لتذهب عقله وتشتت أمره، لكن مؤخرًا بدأ التفكير بشكل مختلف ليتوصل إلى نتيجة مختلفة كأن يكون العيب منه، فكل ما حدث في الفترة الماضية كان دائمًا طرفًا أساسيًا فيه كأنه حلقة الوصل، فلماذا تخلى إبراهيم صديق الإعدادية عنه ولم يتخلَ عن صديقه وشريكه في المصنع ولماذا تجنبه وائل ولم يتجنب باقي أصدقائه في الحفل، أهذا دليل أن العيب فيه؟

قرر أن يعطى نفسه فرصة جديدة لتكوين صداقة ولكن عليه الحذر في معاملاته والاستعانة بنصيحة أمه له دائمًا «أن يفكر في كل قول قبل أن يلفظ به وكل فعل قبل أن يقوم به «بعد أن اتخذ هذا القرار مارس حياته بشكل طبيعي إلى أن يجد هذا الشخص الذي سيدخله دائرة أصدقائه وهي في ثوبها الجديد ..

بعد مرور شهر وأثناء ما كان حمدي ينزل من شقته يتأرجح على درجات السلم لاحظ أن شقه الدور الثالث مفتوحة وكأن بها حركة غريبة وهي بالعادة مغلقة لا تفتح ولا يزورها أحد فمالكها يهجرها منذ زمن، أكمل نزوله إلى أن وصل إلى عم عبده البواب ليسأله بفضول

- إزيك يا عم عبده؟

- الحمد لله يا بيه.

- ألا قولي إيه الحركة اللي في شقه التالت دي؟

- دا الدكتور سامح ابن صاحب الشقة جاي يقعد فيها فبلغنى أجيب حد ينضفهاله .. ما سعادتك عارف إنها مقفولة من سنين

- وبتعرف تجيب ناس تنضف أهو، أمال فين الست اللي قولت هتجيبها تنضفلي الشقة؟

- إيه م هي كانت تعبانة؟

- وخفت بقى على إيد الدكتور صاحب الشقة؟

- يا حمدي بيه دا أنت تؤمر ف أي وقت.

- لا خلاص مش عاوز حد وحاسب يلا من قدامي.

- اتفضل يا باشا .. ألف سلامة.

اتجه إلى السيارة وهو يفكر أن يختار سامح ليكون صديقه الجديد كأنه يختار الفأر الذي سيقيم عليه التجربة، فكر في هذا الأمر طوال الطريق إلى عمله وتوصل أخيرًا أن سامح شخص مناسب لهذا وذلك لسببين.

الأول أنه لا يعرفه من قبل ونتيجة لذلك لا يوجد عنده علم بجريمة القتل التي فعلها كما كان يعلم صديق الإعدادية والثاني فهو الجيرة وأن حمدي هو من سيبدأ بالتقرب إليه على عكس ما حدث مع وائل، وهذا يمحى إمكانيه دخول المصالح بينهم، لذا من الممكن أن تنجح هذه الصداقة.

أخذ يفكر في طريقة يتعرف بها على جاره الجديد، فكر أن يستشير أحدًا لا لأنه لا يعرف كيف ولكن ليشاركه الأمر فالشخص الذى يحتاج إلى إستشارة طبية ليس بالضرورة أن يكون مريضًا

رفع هاتف المكتب لاستدعاء علياء فمن يستشير سواها، اتته مستفسرة ما الأمر

- أيوه يا فندم فيه حاجة حصلت؟

- مالك كدا خايفة ومرتبكة .. اهدي يا بنتي.

- مستغربة بس.

- بقولك إيه يا علياء أنت عندك صحاب؟

- أيوه طبعًا أكيد.

- واتعرفتي عليهم امتى؟

- يعنى فيه صحاب المدرسة وفيه صحاب الجامعة وصحاب الشغل وكمان في صحبة الجيران والمعارف كدا يعني، في كتير.

- وكل دول لسّه بتكلميهم؟

- طبعًا .. دا حتى صحاب المدرسة اللي الجامعة فرقتنا لسّه على اتصال مع بعض أينعم قليل بس فيه وممكن كمان نتقابل في مناسبة تربطنا.

- وبتتعاملي معاهم إزاي؟

- عادى زى ما بعامل أي حد بالعكس تحس إن كل واحد بيرتاح مع صحابه أكتر وبيعرف يتكلم ويفتح مواضيع ويحكي عن كل حاجة.

- طيب وافرضي إن حد من صحابك عنده عيب معين؟

- عادي يعني هو أنا اللي خالية من العيوب، أكيد عندي طبعًا.

- نفترض إن العيب مش فيكِ.

- لو فيه عيب في اللي قدامي هتعامل معاه على عيبه دا، زي م أكيد فيه ناس بتتعامل مع عيوبى، صح؟

- صح، أنتِ صح .. قوليلى لو عاوز أتعرف على حد جديد أعمل إيه؟

- دي حاجة سهلة جدًا أكلمه في أي حاجة، افتح مجال بينا بهدية، أشوف لو حاجة مشتركة نعملها مع بعض .. يعنى مش عارفة أقول إيه بالظبط بس على حسب

الموقف.

- لو جاري مثلًا وعاوز أتعرف عليه.

- الجيران دول أسهل ناس تعمل معاهم صداقة دا حتى النبي وصى عليهم، لو عاملة أكله مثلًا أوديله منها لو شارية حاجة حلوة أدوقه ولو جار جديد بقى أروحله لازم وأرحب بيه وأخد له معايا حاجة.

- حلوة أرحب بيه دي .. خلاص روحي أنت يا علياء.

- أمشي؟

- أيوه يا ستى امشي هو إحنا هنتصاحب؟

- حاضر يا فندم

خرجت متعجبة كعادتها من تصرفاته الغريبة، مهما حاولت أن تفهم شخصيته فشلت في ذلك كأنه يتغير بتغير فصول السنة الأربعة، تفضل أن تتحدث إليه فيما يخص العمل وتجيبه أن سألها متجنبة الخوض معه في تفاصيل أكثر أو أمور لا تعني لها، قطع عليها شريط أفكارها بطلبه للمحاسب وآخر حسابات الشركة في الفترة الأخيرة، أسرعت لتعدّها له، بينما كانت تجمع الأوراق وتطلب من المحاسب الحضور جاء الأستاذ محمد المحامي يريد الدخول إلى حمدي فادخلته وجلست هي تنتظر المحاسب في الخارج.

فتح الأستاذ محمد باب المكتب مبتسمًا يلقي السلام بصوت مرتفع

- السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

- إيه يا متر خضتني، أنت جاي تعلن إسلامك هنا ولا إيه؟

- لا جاي استفسر عن التراجع اللي حصل والفرع الجديد اللي اتقفل من قبل ما يترخص دا.

- وعاوز تعرف إيه بقى؟

- ليه لغيت الفكرة والأرض موجودة والمهندس موجود ولا المهندس رفض؟

-لا مرفضش ولا حاجه بالعكس دا شاف الورق وأخده كمان.

- طيب يعني الراجل مستعد يرد الجميل أهو؟

- آه، بس أنا مش مرتاح له كدا.

- ليه بس؟

- يعني عرفته في فترة صغيرة وإحنا مش صحاب.

- دا أنا افتكرتك حبيته واتصاحبت عليه؟

- لا لا.

- طيب متتفق مع الشركة ترشحلك مهندس تاني.

- المشكلة مش فيه هو، الشغل شغل ملوش علاقة.

- ورجعت في كلامك ليه طالما الشغل شغل؟

- كدا، حسيت إنى مش محتاج الفرع الجديد دا وهكبر الشغل ليه ولمين أصلًا؟

- طيب مش عاوز تبيع الأرض؟

- عندك مشتري؟

- آه عندي.

- لا بردو، مش معنى إني مش هعمل عليها مشروع إنى أبيعها.

- عشمتني.

- هو أنت اللي هتشتريها ولا إيه؟

- لا مش أنا.

- كل شويه بتجيب ليّ زبون لأرض.

- خلاص مش هجيب زباين تاني.

طرقت علياء الباب ومعها المحاسب فأذن لها حمدي بالدخول، دخلا ومعهم الأوراق اللازمة لمراجعة الحسابات، شعر المتر أن وجوده لم يعد هناك رغبة فيه

فاستأذن للرحيل.

أكمل حمدي كلامه مع علياء وبدأ في مراجعة الأوراق التي لم يكن يعلم سبب مراجعته لها، كأنه اخترع لنفسه عمل يقوم به لسد خانة الفراغ في حياته وقطع حبال تفكيره التي لا تتوقف، عرف ترتيب الأوراق وطلب منهم الرحيل ليراجع بنفسه.

بعد ساعات أغلق الورق أمامه وكاد أن يحضر عود ثقاب ليتخلص منه أولًا ثم من نفسه، قرر أن يكمل في وقت لاحق وترك المكتب ورحل، عاد إلى منزله وقد أحضر بعض الطعام، قبل أن يصعد استفسر من عم عبده عن موعد حضور الدكتور سامح ليرحب به ، فأخبره أنه سيأتي في صباح اليوم التالي، صعد وهو يفكر فيما سيفعل مع سامح، وضع الطعام من يده على طاولة المطبخ ثم اتجه إلى الأريكة في الصالة، فرد جسده عليها لفترة طويلة يرتاح وينظر إلى أعلى حتى نام في مكانه.

استيقظ بعدها بساعتين فاقد للزمن يفتح عين ويغلق الأخرى ليستوعب ما حدث، أين هو وكيف نام في مكانه وبملابسه هذ ، اعتدل متذكرًا أنه كان يحلم بأمه الغائبة عنه والحاضرة في قلبه طوال الوقت تأمره أن يتوقف عن فعل شيء ما وتذكره بأن الدنيا فانية

أدرك وجوده في الصالة بملابس الخروج المُرهِقة وعصافير معدته تزقزق، لكنه لا يمتلك الرغبة في أعداد الطعام فقد مل من فَعل كل شيء بمفرده يأكل ويشرب بمفرده يقضى ليله وحيدًا يشاهد التلفاز، يريد شخصًا يشغل هذا الفراغ ولكن مهما فكر في هوية هذا الشخص لم يذكر بباله أن يتزوج مرة ثانية ليكوّن أسرةً قد تكون هي الحل الأمثل لحالته هذه!

في مساء اليوم التالي وأثناء ما كان حمدي عائدًا من عمله أحضر معه طبق من الحلوى ليأخذه للدكتور سامح ترحيبًا لانضمامه إليهم ساكنًا جديد في العمارة على الرغم من أنه لا يعرف سكان العمارة أصلًا، صعد إلى شقته أولًا ليضع أوراقه ثم نزل إلى شقه سامح دق الباب وتقهقر جانباً حتى فتح له سامح متسائلًا

- مين؟

- مساء الخير.

- مساء النور .. أهلًا

- أنا حمدي ساكن فوق في الرابع.

- أهلًا وسهلًا.

- أنا لقيت عم عبده معاه ناس وبينضفوا الشقة وعرفت منه أن حضرتك جاي تنورها فقولت لازم أرحب بيك.

- شكرًا أنا الدكتور سامح.

- نورت العمارة يا دكتور .. اتفضل.

- إيه دا؟

- دي حاجة حلوة علشان وجودك معانا.

- مفيش داعي والله .. شكرًا

- لا شكر على واجب .. استأذن أنا بقى.

- طيب اتفضل عندي نشرب حاجة

- خليها مرة تانية عندي مشوار دلوقتي .. الفرص جاية كتير إن شاء الله .. مع السلامة.

- أكيد، مع السلامة.

ومن هنا بدأت العلاقة بينهم فمن حسن حظ حمدي أن سامح شخصية إجتماعية للغاية يصنع علاقات مع كل الناس، دائمًا يتعرف على أشخاص جديدة ودائرة علاقاته في توسع مستمر، تبادلوا الزيارات والهدايا وكذلك الحديث، لكن لم يحكي أيًا منهم عن نفسه كل منهم يتحدث في تخصصه يروي مواقف حدثت معه، الأمر كان مريحًا لحمدي أكثر لأنه لا يريد التحدث عن نفسه ولا عن عائلته التي فرقتها الرياح وإن فعل سيكون على نطاق ضيق للغاية مع الاستعانة ببعض الكذب، حتى جاء يوم حمدي يتواجد فيه عند سامح في شقته يحتسي القهوة، وفتح سامح هذا

النوع من الحديث وبدأ يقص عن نفسه وسبب قدومه إلى شقة والده بعد كل هذه الأعوام قائلًا

- أنت مش ملاحظ إن أنا مش بنزل الشغل خالص.

- آه فعلًا دايمًا بلاقيك في الشقة.

- أصْلى واخد أجازة مفتوحة من المستشفى وشكلها مش هتخلص.

- ليه بس؟!

- كنت محتاج أغير جو وأبعد شوية.

- تبعد ليه؟ ومن مين؟ لو مش عاوز تحكي براحتك.

- بالعكس دا أنا عاوز أحكى علشان كدا فتحت الموضوع.

- طيب قول اللي أنت عاوزه وأنا هسمع.

- أنا ببعد عن مشاكلي.

- مش جايز لو حاولت تحلها يبقى أحسن.

- م هي اتحلت خلاص.

- طيب وأنت بعيد ليه دلوقتي.

- بحاول أنساها شوية.

- هي مين دي؟

- مراتي قصدي اللي كانت مراتي.

- أنت طلقتها؟؟

- ودى كانت نهاية القصة بعد سنتين من الجواز والخناق مع بعض؟

- آه.

- أنا بس مستني أنسى واهدى شويه وهرجع تاني لشغلي وبيتي.

- إيه دا أنت مش هتقعد هنا دايمًا؟

- لا أنا جاي بس اريح أعصابي؟

- كنت فاكر إنك جاي تستقر هنا.

- لا هرجع قريب لحياتي ولبيتى، أصلها سابتلي الشقه وأخدت بنتي وقعدت عن مامتها.

- إيه دا أنت عندك بنت؟

- آه سالي لسّه مكملتش سنة ودي أكتر حد فارق معايا والله.

- طيب م تحل الموضوع علشان خاطرها ورجع مامتها.

- مش لو هي عاقلة تعمل حساب البنت دي بس هقول إيه بقى.

- معلش .. ربنا يهديها.

- أنت عارف دي كل شوية زن علشان النفقة والفلوس كأني هسيب بنتي يعني ومش هصرف عليها.

- معلش معلش.

- صحيح أنت ليه مفكرتش تتجوز لحد دلوقتي؟

-مفيش جربت مرة وفشلت.

-ليه، ايه اللى حصل ؟

-مفيش انفصلنا عادى

-و عندك أولاد ؟

-لا معنديش .. قولى بس ، يعنى انت كنت جاى هنا تغير جو ؟

-بالظبط كدا .. ولو كانت المستشفى قريبه كنت فضلت لان الشقه هنا عجبانى وفيها ذكرايات كتير مهمه بالنسبالى

-هتوحشنى والله

-انت ليه حسستنى انى مجهز الشنطه وماشى خلاص .. وبعدين احنا اكيد هنفضل على اتصال يعنى ، ما انا مش مهاجر

-هههههههه عندك حق

- كفايه نكد بقى ، قولى انت جيت متأخر النهارده من الشغل ليه

-مفيش كان عندى اجتماع وشويه أوراق لازم اخلصها وحسابات اراجعها فاتأخرت شويه ودلوقتى نفسى انام جداااا

-هتطلع ولا ايه ؟

-اه فعلا هطلع انام بقى دلوقتى وابقى اشوفك بكره . ابقى تعالى نتفرج على فيلم السهره مع بعض

-خلاص ماشى هاجى

صعد الى شقته لا يفكر في شيء سوى حديث سامح عن ابنته كيف تحدث عنها بكل هذا الحزن وامتلئت عيناه بالدموع وهي لم تكمل حتى سنه من عمرها كيف لطفله في مثل عمرها الصغير ان تجذب شخص اليها بهذا الشكل ، بالتأكيد هي فطره مشاعر الابوه التي جعلته يشعر بكل هذا دون محاوله منها

حاول ان يتذكر مشاعره بالنسبه لعمر في اول شهور حياته كيف كانت ؟ وكيف هي الان ! تغيرت بشكل معاكس تماما لما كانت عليه في البدايه كأنه اصبح شخص اخر اختفت من داخله مشاعر الابوه والحب ولن تعود ابدا..

****

دق جرس الباب، فتح ليجد سامح أمامه قائلا:

-إيه يا عم ساعة!

-بقالك كتير ولا إيه؟

-لا أبدا.

-تهويل وخلاص، ادخل ادخل.

-الفيلم بدأ ولا لسه؟

-لأ لسه، تعالى نعمل حاجة نشربها لحد ما يبدأ.

-انا جبت لب.

-تشرب ايه؟

-خليها شاي، كنت عاوز أقولك على حاجة.

-ايه هي؟ خير.

-أنا همشي خلاص كمان يومين، يعني على الجمعة.

-ليه بدري كدا.

-يعني، ، كفاية كدا أجازة وهرجع الشغل بقى من يوم السبت.

-هبقى آجي أزورك.

-في المستشفى؟

-لأ أكيد لأ، في البيت، خلي المستشفى لما أحتاج لها.

-بعد الشر يا أخي.

-ابقى قولي العنوان بالظبط.

-ماشي، والله الهرم هينور.

-بنورك، تعالى نلحق الفيلم من أوله يلا.

استمتعوا بمشاهده الفيلم وشرب الشاي والحديث أثناء الاستراحات وبعد أن انتهى أكملوا حديثهم ثم استأذن سامح للرحيل ليترك حمدي ينام من أجل عمله في الصباح.

لم يتقابلوا بعدها حتى وقت رحيل سامح وأثناء ما كان يضبط حقائبه ويلملم بقايا أشيائه دق جرس الباب بدقة حمدي المميزة، فتح ليودعه قبل الرحيل لكنه أصر أن يوصله إلى بيته، حاول سامح أن يرفض منعًا لإرهاقه وتعبه لكنه أصر أكثر

وحمل أحد الحقائب قائلا:

- يا عم حتى علشان أعرف البيت كويس وأعرف آجى لوحدي، هنزل الشنطه دي العربية وهستناك تحت، ما تتأخرش.

- وراك أهو.

تأكد أنه أخذ كل أغراضه ثم أغلق جميع الأنوار وحمل الحقيبة الثانية وبدأ ينظر في كل ركن وزاوية في الشقة يتخيل صورة والديه في كل الأرجاء كأنه يودعهم قبل رحيله ويعدهم بقدومه قريبًا، أغلق الباب تاركًا ذكرياته خلفه مرة أخرى، ركب بجوار حمدي قائلا:

- يلا يا صاحبي توكلنا على الله.

- لا إلٰه إلا الله، هتوحشني والله.

- وأنت كمان يا حمدي هفتقد رنتك على باب الشقة وأنت نازل وطالع.

- كنت اتعودت والله على كدا.

- أنت عارف أنا كمان أخويا ساكن تحتي وبعدي عليه كتير لكن هو ما بيعملهاش.

- جايز علشان هو اللي تحت.

- هو كمان بيقول كدا، مش مشكلة المهم إننا نشوف بعض.

- حافظ عليه لأن مفيش زى الإخوات.

- وأنت حافظ عليا لأن مفيش زي الصحاب.

- طبعًا طبعًا.

- بقولك إيه أنا عاوزك تحجز لي في رحلة تكون قريب عندك في الشركة بس بشرط إنك ما تعملش أي خصم ولا كأنك تعرفني خالص.

- خصم ايه دا أنت تدفع اتنين.

-لأ مش للدرجة دي.

-قولي أنت عاوز تروح فين واعتبر كل شيء جاهز.

- مش عارف بصراحة مفيش حاجة في دماغي اختار لي أنت.

- طيب في رحلة كمان أسبوع راحه كوريا

- مين قالك تختار بجد، اروح أعمل ايه في كوريا أنا!

- كنت بحاول أخدم.

- هقولك، عندك الأقصر وأسوان؟

- أنت بتشتري من بقال!، آه عندي هتاخد قد ايه؟

-مكان لشخص واحد، بس هتكون امتى؟

- غالبا كمان أسبوعين ابقى عدي عليا في الشركة وهعرفك كل حاجة.

-ماشى يومين كدا وهاجى أنورك، قولي بقى البروجرام بتاعها بيبقى عامل ازاى؟

سرد معلوماته البسيطة عن الرحلة في العادة كيف تكون، وسامح يرشده إلى الطريق فهو القائد هنا إلى البيت، حتى وصلا.

-باااااس هنا بالظبط، كدا أنت عرفت الطريق.

-استناني قريب بقى.

-أنت مش هتطلع ولا ايه.

-لا أسيبك ترتاح وتظبط حاجتك والمرات جايه كتير.

-ماشي بس هستناك، سلام.

رحل بسيارته عائدا إلى البيت، أما سامح فصعد إلى شقته وحياته الخاوية فلم تعد الشقة كما كانت من قبل بداخلها زوجته وطفلته الصغيرة أصبح الهدوء يعمها، وضع أغراضه واتجه سريعا ليرى أخاه، دق الجرس في شوق ليأتيه صوت حسن من الداخل متسائلا

- في ايه حاضر جاي أهو يا اللي بتخبّط.

فتح ليجد شقيقه أمام عينيه فتغيرت نبرة صوته بسرعة

- سامح حبيبي فينك يا عم؟

-ازيك يا حسن.

-ادخل ادخل، ايه يا عم رحت وقلت عدولي فينك كل دا؟!

-قاعد هناك ما بعملش أي حاجة.

-مفيش زيارة حتى كل المدة دي.

-يعنى أنا رايح أقعد هناك علشان أرتاح ولا علشان آجي أزورك؟!

- آه صح ايه الغباء دا! وأخبار الشقة هناك ايه لسه زي ما هي؟

- كل حاجة فيها بتفكرني بينا وإحنا صغيرين وكل ركن فيها بشوف باباك ومامتك فيه.

- وحشوني جدا.

- وأنا والله، وأنا ماشي كنت حاسس إنى سايبهم هما وماشي مش سايب شقة فاضية.

- أكيد ريحتهم فيها.

- فعلًا.

- المهم أنت اخبارك ايه؟ حاسس إنك بقيت أحسن؟

- بحاول والله بس أنت عارف.

- لازم تنساها يا سامح وتعرف كويس إن الطلاق كان الحل الوحيد لحكايتكم دي.

- عارف إنه الحل بس كان نفسي أشوف بنتي بتكبر قدام عيني كان نفسي ألعب معاها وأسمع صوتها بتعيط بالليل.

- أنت كدا بتزود تعبك أكتر، افتكر حياتك وصلت لايه في آخرها، افتكر سنتين الجواز دول عدوا ازاى، افتكر المشاكل الكتير اللي حصلت، اه الفراق صعب بس

ممكن تتعود عليه وبنتك هتفضل بنتك.

- بحاول أقنع نفسي بالكلام دا بس مفيش فايدة.

- بس أنا حاسّك راجع من هناك أحسن.

- آه فعلا ارتاحت شوية.

- دا شيء كويس جدا.

- تيجي معايا الأقصر وأسوان؟

- هما بيطلعوا امتى! أقصر ايه؟!

- رايح أغير جو كمان أسبوعين كدا تيجي ولا أقولك لأ خليني لوحدى أحسن.

- وبتقولي ليه من الأول طيب!

- خلاص غيرت رأيي.

- براحتك يا باشا أنت تعمل اللي أنت عاوزه.

- هبقى آخدك مرة تانية بقى.

- دا كرم أخلاق والله.

- أنا هطلع بقى عاوز أرتاح أشوفك بكرة.

- هتروح المستشفى؟

- آه إن شاء الله

- ماشي اشرب اللبن ونام بدري.

- وهغسل سناني حاضر.

دخل شقته مبتسما يحاول الاستعداد لمواجهة ليله الطويل بمفرده كأنها المرة الأولى له، أخذ نفسا عميقا قبل دخوله كأنها خالِية من الأكسجين غير صالحة للمعيشة بمثابة القبر بالنسبة له، كما هي لم تتغير من أثاث وأغراض، لكن ما فائدة هذا بدون أشخاص! بالعكس يجعلها تشبه شقة والديه ثابتة الهيكل، تفقد

حيويتها القديمة، بلا روح، هز رأسه ليسقط كل هذه الأفكار فإن استمر يفكر بهذه الطريقة ستتوقف حياته بلا سبب واف فهو ليس بأول من ينفصل عن زوجته بل هو من أفضلهم، انفصل بإرادته على عكس غيره من ينفصل اضطرارًا مرغمًا على أمره بسبب موت أو ما شابه، لذا وجب عليه تقبل الأمر لتنمية حياته بدلًا من دفنها، قام بإعادة كل أغراضه إلى أماكنها وبّدل ملابسه واستقل على سريره متجنبا التجول في الشقة هذه الليلة.

استيقظ في الصباح لا يتذكر سوى أنه كان ينظر أمامه يفكر في اللا شيء، نهض مستعدًّا للنزول إلى المشفى من جديد.

في نفس الوقت كان حمدي يتأرجح على الدرج متجها إلى الشركة يخطف الأنظار إلى شقة سامح حزين على مرور الأيام، وعودته إلى الوحدة مرة ثانية بعد تحرره منها لكن من الواضح أنها قدره المحتوم مهما فر مرجعه إليها، عندما وصل مكتبه وضع أوراقه ورفع الهاتف يطلب من علياء الحضور، دقت على الباب قبل أن تدخل فسمح لها قائلا:

-ادخلي يا علياء.

-صباح الخير يا فندم.

- صباح النور، ازيك؟

- الحمد لله.

- قوليلي في رحلة قريب للأقصر وأسوان؟

- اه فعلا.

- هتكون امتى؟

- كمان أسبوعين بالظبط، يوم ١٤ في الشهر

- طيب كويس.

- حضرتك طالع معاهم ولا ايه يا فندم؟

- تحبي تيجي معانا؟

- لا شكرا.

- أطلع فين بس! توكلي على الله يا علياء.

خرجت كالعادة مستاءة وانهمك هو في عمله ينهي مهامه اليومية التي تعود عليها بدون تركيز، قاطعه رنين الهاتف فأجابه، يعلم المتصل فمن سواها يدق.

- في حاجة يا علياء؟

أجابته وهي تردد في نفسها «يعني هو لو مفيش حاجة كنت هحب أسمع صوتك!»

- في واحد عاوز يقابل حضرتك بيقول اسمه سامح، دكتور سامح؟

- دخليه حالا.

- تمام، حاضر.

وضع سماعة الهاتف، ونهض من مكانه ليفتح الباب مرحبا بدخول صديقه.

- يا أهلا يا أهلا.

- شوفت المفاجأة دي.

- جميلة، تعالى ندخل جوه.

- حسيت بفراقي النهارده وانت نازل للشغل؟

- فعلا، عرفت ازاى؟

- أصلي كنت مستني الصبح جرس الباب يرن وبعدها افتكرت إنه مش هيرن تاني بالرن دى.

- يبقى لازم آجى أزورك.

- اعمل زيي، أنا قلت بقى خير البر عاجله وآجى النهارده أشوف أخبار الأقصر وأسوان ايه.

- مستنياك كمان ١٤ يوم من النهارده.

- وأخبار اسعاركم ايه؟

- الورقة دى فيها كل التفاصيل عن الأماكن والمواعيد.

- والأسعار؟

- ممكن تعرفها من الاستعلامات أو خليها علينا المرة دى.

- لأ هروح الاستعلامات، نتعامل ولا كأننا نعرف بعض.

- يعنى أنا لو جيتلك المستشفى هتعمل معايا كدا؟

- لأ طبعا.

- اشمعنى؟

- لأ دا دوري مع المرضى، بعد الشر عنّك طبعا.

- لأ اقنعتني

- هسيبك تكمل شغلك بقى وهروح الاستعلامات ونبقى نتقابل تاني.

- ماشى مع السلامة، الشركة نورت النهارده.

- بنورك.

مرت الساعات والأيام ولم يتغير شيء في حياة حمدي، ثابتة كما هي لا تتحرك كالمياه الراكدة، لا يدخلها شخص جديد ولا يخرج منها، بل ازدادت حزنا بانتقال آخر من دخلها بعيدا، كأنه يريد احتكار الناس يريد من يدخل حياته يظل بجواره بلا حركة يهب نفسه لإسعاده، شغلته الحياة حتى وجد يومه يوافق ١٤ من الشهر تذكر أنه يوم إقلاع سامح إلى الأقصر وأن العودة ستكون في خلال ثلاثة أيام، لم يسعفه الوقت لرؤيته قبل الرحيل فاضطر إلى انتظاره هذه المده البسيطة فسرعان ما سيعود إلى أرض الوطن.

لم ينتظر كتيرا حتى ذهب لزيارته بعد العودة يستمع إلى أحد أغانى أم كلثوم يخشى أن يضل الطريق فهذه المرة الثانية التي يسلكه، وصل إلى المكان المقصود وتأكد أنه البيت، صعد درجات السلم حاملا باقة ورد بيده، دق الجرس كما كان

يدقه قديما، سمعه سامح فعلم هوية الطارق دون أن يسأل من هو، فتح قائلا:

-يااااااه يا راجل أنت فين؟!

-واحشني والله.

-والله، دا أنت مختفي ولا سلام ولا كلام.

-أنت عارف الدنيا ومشاغلها، من آخر مرة كنت عندي في المكتب وأنا مشغول.

-مشغول في ايه؟

-مش عارف الصراحة بس أكيد في حاجة شغلتني وفقت منها لقيت نفسي يوم ١٤ في الشهر عرفت إنك سافرت قلت أستنى لما تيجي بقى.

-سريع أنت اوى دا أنا جاي بقالي أسبوع تقريبا.

-بلاش مبالغة بقى، دا أنا جايب لك ورد وجاى أعزمك على الغدا.

-طيب ادخل الأول.

-الأول ايه بس دا احنا بقالنا نص ساعة بنتكلم على الباب.

-مش عارف تجيب أكل بدل الورد دا؟

-خلي الأكل للعزومة بقى.

-اه صح، تشرب ايه؟

-شاي

-طيب تعالى معايا المطبخ.

-ماشي، قولى عملت ايه هناك، اتبسطت؟

-اه جدا الناس هناك حلوة أوي والأماكن مبهجة كدا.

-جبتلي لبس نوبي معاك؟

-لأ جبتلك حاجة تانية، اتفضل الشاي واستنى أجيبها.

-ايه هي طيب؟

-استنى جبتها أهو، اتفضل يا سيدي ميدالية باسمك.

-الله! جميلة أوي، شكرا.

-كنت عاوز أجيبلك حاجة أقيم من كدا شوية بس الوقت كان ضيق أوي، فجبتلك أنت وحسن من دي.

-حسن دا أخوك؟

-اه، كان نفسي أعرفك عليه بس هو مش موجود دلوقتي للأسف.

-المرة الجايه إن شاء الله.

-ها عازمني امتى؟

-في الوقت اللي هتختاره.

-خلاص خليها الأسبوع الجاي ونبقى نتفق على الميعاد.

-مش بعيدة شوية؟

-لأ بس علشان أظبط يوم يكون فاضي في المستشفى.

-ماشي أنا همشي بقى بس عاوز أطلب منك طلب؟

-اتفضل.

-هستناك بكرة نتفرج على فيلم مع بعض وناكل فشار ونشرب عصير؟

-طيب ما بلاش بكرة السبت وفي مستشفى وشغل.

-هو أنا بقولك تيجي على الفطار دا الكلام دا كله بالليل.

-أقنعتني وكمان أنا محتاج الجو دا.

-اتفقنا، أمشى أنا بقى وأشوفك بكرة.

-ماشي

رحل حمدي إلى بيته وفى قلبه شوق لجلوسهم معا ينتظر مساء اليوم التالي بفارغ الصبر، على الرغم من أنه لم يكن يفضل مشاهدة الأفلام إلا أنها كانت مختلفة في وجود سامح، كأن الفكرة في جليسك وليست فيما تفضل.

دق سامح جرس الباب والساعة تدق السابعة إلا ربع مساءًا، وكان مستعدا لمشاهدة الفيلم كالطفل المستعد لقضاء يوم العطلة، شعر بحمدي سيفتح، فقال:

-أنا قلت آجي بدري.

- اتفضل اتفضل، تنور في أي وقت.

- أنت عارف بقى حياة الشغل والصحيان بدري اللى بتخليك تبتدي تغمض عينك من الساعة تسعه دي.

-اه، بس المشكلة إن السنة كلها بقت شغل، فين أيام السهر والشقاوة؟

-ألا ليت الشباب يعود يوما.

-تعالى نعمل الفشار واحنا بنتكلم.

-ماشى، كنت هجيب حسن معايا النهارده.

-و مجاش ليه؟

-ملقتوش علشان أقوله فجيت أنا.

-ابقى هاته في مرة معاك.

-مفيش رحلة قريب في الشركة؟

-الرحلات مستمرة مش بتقف.

-كنت عاوز أعمل مفاجأة لحسن ونطلع في أي مكان وبالمرة أعرفكم على بعض.

-حدد المكان، والشركة تحت أمركم.

-ماشي، هروح أفتح التليفزيون وهشوف هنتفرج على ايه.

أخذ يتنقل بين القنوات قليلة العدد حتى اختار إحداها، أتى حمدي وأغلق الإضاءة

وفي يده أطباق فشار ومعجنات وكوبين من العصير للتسلية موافقًا على الفيلم المختار، عندما أصبحت الثانية عشرة في منتصف الليل وبعد محاولات عديدة من حمدي لإقناعه بالبقاء هذه الليلة استطاع سامح الرحيل شاكرا إياه على هذا الوقت اللطيف.

لم تختلف أيام حمدي عن بعضها سوى يوم قرر فيه الذهاب لزيارة قبر أمه التي تركته في أحلامه منذ فترة وهناك جلس بجوارها وأخذ يتحدث لساعات يشكو لها أموره وأحواله، يشكو تشابه أيامه وفراغ حياته من بعدها كأنها كانت له الروح التي يحيا بها، يشكو خوفه من البشر يبكي كالطفل بصوت عالٍ، ويطلب منها العودة فحتى أغراضها في البيت اشتاقت لها، ظل يتحدث قليلا ويصمت قليلا كأنه ينتظر إجابة منها ينتظر نصيحتها السديدة في أي وقت، استمر هكذا حتى ظن الناس أنه يعاني شيئا في عقله، لكن ذهب هذا الظن عندما نهض واتجه إلى سيارته ليرحل.

بعد ما يقرب من أسبوع تذكر وعده لسامح بأن يتناول معه الغداء فقرر الذهاب إليه لينفذ هذا الوعد، يسوق سيارته ويدرك الطريق جيدا، وصل في وقت قياسي، رن الجرس مبتسما وانتظر، رن للمرة الثانية والثالثة، ولكن كلها تبوء بنفس النتيجة، قرر أن يدق باب أخيه حسن بالسؤال قائلا؛

-السلام عليكم.

-و عليكم السلام، مين حضرتك؟

-أنا كنت بسأل على دكتور سامح.

-للأسف دكتور سامح مسافر.

-يعني ايه مش فاهم!

-بقول لحضرتك مسافر ايه الغريب في كدا!

-طيب، هيرجع امتى؟

-مش عارف بالظبط.

-أفندم!!

-في ايه حضرتك، سامح أخويا مسافر من يوم السبت.

-بس غريبة، عربيته موجودة تحت!

-أيوه فعلا موجودة تحت.

-ماشي، ربنا يرجعه بالسلامة.

انصرف حمدي وظل يفكر طوال الطريق في الحوار الغريب الذي جمع بينه وبين حسن، يقول في نفسه

– ليه يكذب ويدعي إن أخوه مسافر واحنا أول مرة نقابل بعض! وايه فايدة الكذب دا على شخص ما يعرفوش! يا ترى دي خدعة سامح اللي اختارها علشان يبعد بيها عني زي ما بعد وائل وإبراهيم قبله! ولا كلام أخوه صدق، بس ازاي والصوت اللي كان جوا الشقة وأنا بخبط والعربية اللي موجودة تحت دي يبقى أكيد كان بيكذب.

استمر يفكر بهذه الطريقة، يصدق شقيق سامح تارة ويكذب كلامه تارة أخرى، ليكون قراره في النهاية أن يبتعد هو هذه المرة دون أن يترك لسامح الخيار، خلال الفترة السابقة لم يكن الخيار بيده ولا مرة، دائما يكون بيد الطرف الآخر، كأنه المتهم المغلوب على أمره ينتظر صدور الحكم عليه وعادة يكون الحكم بتجنبه دون سبب واضح ، فلو كان يحمل مرضا معديا لما تركوه هكذا، كان على الأقل سيجد الذي يرعاه أو الطبيب الذي يشرف على حالته، لكن ما باليد حيلة فكل إنسان ملزم بطائره في عنقه، مسئول عن أفعاله هو وليس أفعال الغير.

لم يرَ حمدي الضوء مرة ثانية بعد هذا اللقاء كأن القدر هو الذي ألقى حسن في طريقه ليكون آخر شخص يلقاه ويتحدث معه أو ليكون السبب في اعتزاله الحياة، لم يكن السبب الوحيد لكنه القشة التي قسمت ظهر البعير، لو كان يعلم حسن أن حديثه الذي لم تتجاوز مدته دقائق أمام باب الشقة مع شخص لا يعرفه سيتسبب في كل هذه التعاسة لهذا الغريب لما تلفظ بكلمة واحدة معه، ولكن كيف عليه أن يعلم أن هذا الشخص بداخله ما يكفيه وأن وقع خبر اختفاء سامح عليه أشد من وقعه على والدة سامح لو كانت على قيد الحياة فعلاقته معه كانت تجربة لتحديد قيمته في الحياة ومدى حب الناس له.

فات الأوان، قرر حمدى الاختفاء عن أنظار هذا العالم تماما وبداخله يقين أن وجوده من عدمه لا يختلف كثيرا فلا يوجد من يهتم له من الأساس.

****

2016

السابعة صباحا بتوقيت مدينة ستة أكتوبر وفي أحد أقسامها، رامي يدق باب عماد بالدخول ليطمئن إلى أين وصلت القضية.

قائلا: صباح الخير.

-صباح النور يا باشمهندس، اتفضل.

-شكرا، مش هاخد من وقت سعادتك كتير بس كنت عاوز أعرف هل الأدلة الأخيرة فادت في حاجة في مجرى القضية؟

-والله يا باشمهندس الأمور اتعقدت أكتر ولسه مفيش حاجة واضحة.

-ليه بس؟!

-احنا شغالين وبنعمل اللي علينا، ما تقلقش.

-أنا بس كنت فاكر إن الأدلة دي هتفيد لأن في أكتر من بطاقة ممكن توصلوا لأصحابها أو حتى لقرايبهم.

-ودا اللي احنا بنعمله دلوقتي، قلت لك ما تقلقش.

استشعر رامي اختفاء الصراحة في الحوار مدركًا أن عماد يجيب بما قل كي لا يبوح بأسرار القضية إليه، فقد يكون ضمن دائرة المتهمين من وجهة نظره، فتعاونه معهم وإحضاره للأدلة لن يخرجه من هذه الدائرة، فبالنسة لعماد الكل متهم حتى يتضح من هو المتهم الحقيقي، لن يستطع إخفاء شكوكه تجاه رامي وهو يتهم كل من تربطه أى علاقة كبيرة كانت أو صغيرة حتى أصابع يده التي تحقق في هذه القضية متهمة أمامه، قد يأخذه تفكيره إلى أن تكون هذه الأدلة هي مجرد تشويش من رامى ليضله عن الطريق الصحيح للقاتل وينشغل بأشخاص لا وجود لهم في الحياة حتى الآن.

تحجج بتأخره على الموقع واستأذن للرحيل على وعد أن يعود إذا توصل إلى شيء

جديد مقتنع أنه تسرع في زيارته هذه وأن عماد على حق إن كانت لديه شكوك في كل من حوله.

****

-أنت يا عسكري.

-أيوه يا عماد باشا.

-بلغ الظابط فوزي إني عاوزه حالا.

-تحت أمر سعادتك.

اتجه العسكري ليخبر فوزي الذي سرعان ما لبى النداء واتجه إلى مكتب عماد.

-صباح الخير يا فندم.

-ها يا فوزي ظبطت التقارير اللي قلت لك عليها ولا لسه؟

-كل حاجة جاهزة يا فندم وكنت لسه هاجي أبلغ سعادتك.

-عرفت توصل لحاجة؟

-أيوه يا باشا البطاقة الأولى اللي باسم وائل المهندس المعماري قدرنا نوصل لأخوه اللي لسه عايش في شقة والدهم واللي مذكور عنوانها في البطاقة.

-وعرفت منه ايه؟

-هو استغرب جدا لما لقانا بنذكر اسم وائل وانه سبب استدعائه ودا لانه بقاله تقريبا ١٩ سنه ميعرفش عنه اى حاجه

-ازاى

-هو قال إن وائل اختفى اختفاء تام قبل فرحه بفترة صغيرة جدا وبعد بحث شامل عنه في كل المستشفيات وأقسام الشرطة وحتى أسماء المسافرين من مطارات مصر مقدرش يوصل لأى حاجة ولحد النهارده هو ميعرفش أخوه فين.

-وازاى مبلغش في وقتها؟!

-بلغ فعلا وهتلاقي في الورق صورة من المحضر ، وعلشان وائل كان معروف عنه الطيبة والاحترام وحبه للناس مكانش عنده أي خلاف مع حد بالعكس كان بيترقى بسرعه في شغله ومحبوب جدا من زمايله اللي زعلوا على اختفائه ودوروا عليه كتير.

-طيب والعروسة عرفت عنها حاجة؟

-دخلت مصحة نفسية بعد اختفائه وفضلت تتعالج فترة طويلة

-لا حول ولا قوه إلا بالله، طيب والباقي يا ابنى؟

-البطاقة التانية اللي باسم إبراهيم دا بقى كان شريك في مصنع منتجات ألبان كان عايش لوحده قدرت أوصل لأخته اللي أول لما سمعت اسم اخوها انهارت هى كمان وحست إن احنا راحين ندلها على مكانه ودا لأنها كمان مستنية تسمع أى معلومة عنه بقالها سنين كتير.

-متعرفش عنه حاجة بردو؟

-بالظبط كدا اختفى فجأة بدون أي مقدمات وكانت حياته طبيعية جدا وطبعا هي دورت عليه في كل الأماكن وعملت محضر وصورته موجودة في الورق.

-معرفتش أي حاجة تانية عنه؟

-حاولت أوصل لشريكه بس هو توفى من خمس سنين والورثة قفلوا المصنع وبعتوا لهالة نصيبها.

-هالة مين؟

-أخت إبراهيم يا فندم .

-وأكيد البطاقة الأخيرة طبعا لشخص مختفي بردو؟

-فعلا، البطاقة الأخيرة باسم دكتور سامح وصلنا لأخوه اللي ساكن في الدور اللي تحته في نفس العمارة المذكور عنوانها في البطاقة.

-قال إنه مختفي؟

-فعلا وكمان في صورة من المحضر بتاعه موجودة، الغريب يا باشا إن التلت أشخاص دول مفيش أي حاجة بتربطهم ببعض لا صداقة ولا قرابة ولا حتى جيرة والغريب أكتر إن لو أخدت بالك من تواريخ المحاضر بتاعتهم التلاتة في سنه ١٩٩٧ والفرق بينهم شهور بسيطة.

-أنت سألت حد فيهم عن التاني؟

-لأ

-يبقى ممكن يكونوا يعرفوا بعض يا حضرة الظابط.

-بس دول مفيش بينهم أي رابط.

- وأنت عرفت شجرة العيلة منين؟ وتفسر بايه وجود التلت بطايق مع بعض في الكيس وكمان الساعة ودعوة الفرح والميدالية اللي موجودين معاهم؟

-هو دعوة الفرح واضحة إنها بتاعة وائل وبتأكد كلام أخوه لأن تاريخ اختفاءه وتاريخ المحضر قبل تاريخ الفرح الموجود في الدعوه، لكن ايه علاقه الساعة والميدالية اللي عليها اسم حمدي دي؟ ومين حمدى دا أصلا اللي الدعوة باسمه كمان؟

-جايز دا ضحية رابعة واختفى معاهم.

-وهنوصله ازاى وبطاقته مش موجودة ومفيش أي معلومة عنه؟

-مش عارف بس أكيد مصيره زى مصير الباقي وإلا اسمه مكنش اتجمع معاهم.

-طيب دا ممكن يكون احتمال يفسر وجود الميداليه، ماذا عن الساعة إذن؟!

-انتظرونا في الحلقة القادمة، ايه يا فوزي احنا هنهرج؟!

-آسف يا باشا اندمجت بس شوية.

-تروح مكتبك وتستدعي الناس دي تاني وتعرض عليهم الساعة جايز تطلع بتاعة حد من الضحايا وتوريهم البطايق ممكن يطلعوا يعرفوا بعض.

أجابه «حاضر يا باشا، بعد إذنك» وانصرف إلى مكتبه، أما عماد فبدأ بالاطلاع على

الأوراق الجديدة يحاول أن يجد طرف الخيط المختفي تماما مثل الضحايا ليربط كل هذا بقتل العمال، ثلاث محاضر قديمة لا توضح أي شيء سوى أنها قضايا مر عليها الزمن وأغلقت، وأدلة غريبة تشمل بطاقات لأشخاص لا يربطهم ببعض أي رابط بالإضافة إلى ساعة وميدالية ودعوة لفرح أحدهم، تطورات غريبة تكفي لتنسيه القضية الأساسية.

فوزي يجلس في مكتبه ينتظر قدوم أقارب الضحايا مرة ثانية لعله يجد عند أحدهم هذه المرة جوابا يرضي فضوله، كان أول من أتى هو الأستاذ حسن، رحب به عند دخوله قائلا:

-أهلا يا أستاذ حسن، ازى حضرتك؟

-الحمد لله، عاوز أطمن بس هو في أخبار عن أخويا؟ يعني ممكن اشوفه بعد السنين دي كلها فعلا!

-أنا هفهم حضرتك كل حاجة احنا لقينا بطاقة الدكتور سامح هي وبطاقة شخصين كمان ومعاهم حاجات تانية زي ساعة ودعوة فرح وميدالية مكتوب عليها اسم حمدي، كل دا في نفس الكيس.

-ومين الشخصين دول؟

-مهو دا اللي أتمنى إنك تكون تعرفه، عاوز حضرتك تركز كويس في شكل الاتنين دول وتقولي: تعرف حد فيهم؟

-اممم للأسف أول مرة أشوفهم دلوقتي.

-متأكد؟

-أيوه متأكد.

-طيب شوف الساعة والميدالية ودعوة الفرح دول، ركز ممكن تكون شفت الدعوة دى قبل كدا أو الساعه تخص الدكتور؟

-كمان أول مرة أشوف الحاجات دى وسامح مكنش غاوي ساعات أصلا.

-كان نفسي تتعرف على حاجة فيهم علشان نقدر نوصل لأي طرف خيط بس مش

مشكلة، تقدر حضرتك تتفضل وأي حاجة جديدة تفتكرها يا ريت تكلمني على أي رقم من أرقام الكارت دا.

تنهد حسن قائلا: يعنى كدا خلاص؟ ثم استند بيديه على الكرسي محاولا الوقوف والثبات على أرجله ينتابه الحزن بعد كل هذه الفترة، بعد ما يقرب من عشرين عاما على جرحه القديم بدأ ينزف من جديد، فذكر اسم سامح أمامه ومقابلته مع فوزي مرتين متتاليتين قلبت عليه مواجعه، تماسك حتى خرج من المكتب مع دخول شقيقه إبراهيم «هالة» وأحد العساكر حينها تمنى فوزي أن يعرف بعضهما البعض لكن كيف وقد نفى حسن هذا منذ قليل فليست كل الأماني مجابة؟!

توجه فوزي إلى العسكري آمرا إياه بالرحيل ثم رحب بهالة وطلب منها الجلوس قائلا:

-اتفضلي يا مدام هالة.

-شكرا، ممكن أعرف ايه المطلوب مني دلوقتي؟ طالما معرفتوش زمان تلاقوا أخويا جايين دلوقتي تفتحوا في القضية ليه!

-أنا بس عاوزك تهدي الأول، أخوكي مختفي من سنين والقضية بتاعته اتقفلت والبطاقة دي لقيناها في موقع حدوث جريمة تانية خالص، جريمة قتل.

-يعني حضرتك عاوز تقولي إنه عايش وماشي يقتل في الناس كمان!

-أنا مقولتش كدا يا مدام هالة، واحنا ما لقيناش بطاقة أخوكي بس، احنا كمان لقينا معاها دول.

-ايه دول؟

-مهو دا اللي احنا عاوزين حضرتك فيه، تعرفي حد من الاتنين دول أو في حاجة من الحاجات دي تخص الأستاذ إبراهيم؟

-لأ معرفش حد فيهم.

-بلاش تسرع اتأكدي كويس.

-الاتنين دول اه متأكدة إنى معرفهمش لكن الساعة دي شبه بتاعة إبراهيم بالظبط.

-شبهها ولا هي؟

-لا شبهها، كان عنده واحدة زيها بالظبط كانت لسه موديل جديد جابها قبل ما يختفى من باريس ولسه موجودة عندي في البيت لحد دلوقتي.

-هو كان متعود يسافر

-لأ مش متعود بس قبل ما يختفي سافر باريس يغير جو.

-يعني الساعة دي مش بتاعته؟

-لأ، بس زيها بالظبط، بس دا برضو هيفيد في ايه!

-إن شاء الله هيفيد، شكرا ليكي يا مدام تقدري تتفضلي دلوقتي ودا الكارت بتاعي لو افتكرتي أي حاجة ممكن تفيدنا يا ريت تعرفيني.

نهضت من مكانها بعنف تحاول أن تتمالك أعصابها كي لا يفلت لسانها بأي كلمة أو لفظ خارج، تشعر بالكره الشديد لهذا النظام الذي لم يستطع إيجاد شقيقها في الماضي ومع هذا طلب منها الحضور ليذكرها بجرحها في الحاضر، لم يعالجها ولم يترك الزمن يقوم بعلاجها.

أما فوزي فاستكمل يومه بشكل طبيعي حتى آخر مقابلة فيه عند حضور شقيق الضحية الثالثة «وائل»، رحب به وبدأ يتحاور معه مثلما فعل مع حسن وهالة عن معرفته لأحد من أصحاب البطاقات وهل هناك شيء يخص شقيقه سوى دعوة الفرح؟ لم تكن إجاباته مفيدة فهو لا يعرف أحدا منهم ولم يتعرف على الميدالية أو الساعة ومعلوماته عن الدعوة لم تكن جديدة فأوضح شئ في هذا اللغز أن الدعوة تخص عريسها وائل لكن ما الذى أتى بها إلى هنا؟ ومن جمع هذه الأشياء معها؟ هذا هو الغامض إذن.

اثناء ما كان فوزى في بيته وقبل ان يخلد الى النوم بعد يوم شاق ، رن هاتفه المحمول بصوت رساله ، فتحها ليجد محتواها « انا حسن اخو الدكتور سامح .. كنت عاوز أقول لحضرتك حاجه مش عارف هتكون مفيده ولا لأ بس انا عندى ميداليه باسمى زى اللى موجوده من ضمن الادله كان سامح جايبهالى هديه « ، بدون تردد اتصل بالرقم ليتاكد من الكلام فجاءه صوت حسن قائلا

-انا اسف على الازعاج جدا

-لا ولا ازعاج ولا حاجه يا استاذ حسن .. قولى بالظبط ايه موضوع الميداليه دا

-بعد لما رجعت البيت وهديت افتكرت ان الميداليه اللى عليها اسم حمدى شبه بالظبط واحده عندى كان سامح جايبهالى هديه من الأقصر واسوان وهو جاى قبل ما يختفى بكام يوم

-هو كان مسافر ؟

-ايوه كان مسافر تلت أيام تقريبا للاقصر واسوان

-و جابلك ميداليه هديه من هناك ؟

-ايوه

-هو الدكتور كان جايب هدايا لحد تانى وهو جاى ؟

-مش فاهم

-يعنى ، جايز يكون كان عنده صاحب اسمه حمدى وكان جايبله الهديه دى معاه

-ممكن فعلا

-طيب تعرف مين حمدى صاحبه دا

-للأسف لا .. سامح كان عنده صحاب كتير جدا ، كان ماشى يصاحب خلق الله كلهم حتى العيانين بتوعه

-كدا مش هنقدر نوصل لحاجه

-انا قولت جايز المعلومه تكون تفيد

-أتمنى كدا ، شكرا ليك واى حاجه تانيه بلغنى في اى وقت

-تمام ، تصبح على خير يا باشا

-وانت من اهله يا فندم

عماد يجلس في مكتبه في انتظار المعلومات الجديده القادمه في الطريق مع

فوزى ، يتخيل انها ستحل اللغز المطروح ، دق باب المكتب فسمح للطارق بالدخول قائلا

-ادخل يا فوزى ... انا كنت عارف انى حطيت ثقتى في الشخص الصح

-ربنا يخليك يا فندم والله

-ها عملت ايه جديد؟

-استدعيت اخوات الضحايا تانى وسألتهم شويه اسئله

-و قدرت توصل لحاجه ؟

-بدأت بحسن اخو الدكتور سامح قال انه ميعرفش لا إبراهيم ولا وائل وان دى اول مره يشوفهم ، مش بس هو اللى قال كدا دا كمان هاله اخت إبراهيم واخو وائل قالوا نفس الكلام

- دا ايه المعلومات الخطيره دى

-يا فندم صبرا المعلومه الخطيره جايه ،هاله اتعرفت على الساعه

- طلعت بتاعه إبراهيم

-مش بالظبط كدا

-يعنى ؟

-يعنى هي قالت انها شبه بتاعه اخوها بالظبط

-ما جايز تطلع هي بتاعه اخوها

-مينفعش لان ساعه إبراهيم لسه موجوده عندها في البيت

-يعنى محتفظه بيها

-ايوه

-و ايه اللى يفيدنا فى كدا ، يخلق من شبه الساعه أربعين يا سيدى ، ايه الغريب في ان الساعه شبه بتاعه اخوها يعنى

-هي قالت انها كانت لسه موديل جديد وانه جابها من باريس قبل ما يختفى بكام يوم

-كان في باريس

-ايوه

-ممكن كان جايب لنفسه واحده ولحد تانى واحده هديه

-ممكن جدا يا فندم

-بردوا ايه اللى يفيدنا

-مش عارف والله بس اكيد في تفسير يربط كل دا ببعضه

-اكيد بس نلاقى طرف الخيط الاول واحنا نربط

-في معلومه كمان

-على الله تطلع مفيده بس

-حسن اخو الدكتور سامح كلمنى وقالى انه عنده ميداليه عليها اسمعه زى اللى موجوده عندنا دى بالظبط اخوه جابهاله هديه من الأقصر واسوان قبل ما يختفى بكام يوم

-هو كمان كان مسافر

-ايوه

-يبقى أكيد كان جايب اللي معانا كمان هدية لحد اسمه حمدي

- وارد جدا .. بس لما سألت حسن معرفش وقال إنه كان عنده صحاب كتير جدا وإنه كان بيتلغبط فيهم.

-يعني إبراهيم كان مسافر باريس وجاب ساعة زي دي وسامح كان مسافر الأقصر وأسوان وجاب ميدالية زي دي وسبحان الله الاتنين اختفوا بعد السفر على طول

-مش فاهم قصد سعادتك !

-قصدى ان دا اول تشابه بين شخصين فى قضيتنا ، مش عارف دا دليل ولا لأ بس عاوزك تعرف معلومات اكتر عن موضوع السفر دا يعنى جايز يكون في عامل مشترك كان مسافر مع الاتنين ، زى واحد يطلع صاحبهم هما الاتنين ويطلع هو مربط الفرس في الاخر

-هي بعيده وغريبه شويه

-مش بعيدة ولا حاجة لإنك بتحاول تعرف حاجة حصلت من حوالي عشرين سنة يعني أي احتمال لازم تحطه في دماغك صح ولا إيه؟

-صح يا فندم

-يلا توكل على الله انت ومتجيش هنا تانى غير ومعاك طرف الخيط علشان نربط

-حاضر سعادتك

ثلاث قضايا أغلقوا في الماضي وعندما تم فتحهم من جديد كانوا بمثابه الأدله لقضية رابعة مما زادهم تعقيدًا، هل سيطويهم الزمن مرة ثانية؟!

بعد أسبوع من البحث المتواصل وراء رحلة كل من إبراهيم وسامح متى كانت؟ ومع من ذهبوا ؟ تأكد فوزى من أقارب الضحايا ان كل منهم قضى رحلته بمفرده بدون رفيق لكن عندما تدقق اكثر وحاول معرفه الشركه المسئوله عن رحله كل منهم ؟ تعجب ، فقد توصل الى التشابه الثانى بين الضحيتين لا يعرف ما اهميه هذه التشابهات وجمعها وما نهايه هذه اللعبه ، لكن لن يتوقف بالعكس اتجه على الفور الى مكتب عماد ليبلغه باخر التطورات ، فتح باب مكتبه بدون اى مقدمات قائلا - عماد باشا

-ايه يا فوزى مالك ؟

-اكتشفت تشابه جديد بين الشخصيتين

-ايه طلعوا برج واحد ؟

-لا لسه مدخلتش في علم الفلك

- أمال ايه قول

- قدرت أجمع معلومات عن الرحلة اللي عملها كل واحد.

- طلع في شخص مشترك زي ما قولتلك، كنت عارف ان اكي..

- لا يا فندم

- لا ايه ؟ مطلعش نفس الشخص

-هو مفيش شخص أصلا، كل واحد فيهم كان طالع رحلته لوحده وزى ما إحنا عارفين معاد رحلة إبراهيم كان قبل معاد رحلة سامح

-يبقى فين التشابه يا عبقرى

-التشابه في الشركه نفسها اللى مطلعه الرحلتين

-نفس الشركه

-ايوه يا فندم ، شركه الصفوه للطيران

-هو دا التشابه الرهيب اللى جاى وقالب الدنيا علشانه

-ايوه

-ايوه ايه يا ابنى ، إيه اللي يشد في انهم طلعوا مع نفس الشركه أنت بتتكلم على رحلات طيران حصلت من عشرين سنه يعني عدد الشركات أصلا كان قليل والحوار كله صدفة يعنى

- م هو علشان أنا بدور ورا حاجه حصلت من عشرين سنه لازم آخد كل حاجة فى الاعتبار ولا ايه .. مش دا كان كلام حضرتك ليا

-ماشى بس مش للدرجه دى يعنى ، ثم ايه مصلحه الشركه فى اى حاجه تحصل للعملا بتوعها

-مهو دا الخيط اللى همشى عليه ، جايز نوصل لحاجه

-طيب قدرت تعرف اى معلومات عن الشركه دى

-لسه موصلتش لاى حاجه غير ان صاحبها الحالي امتلكها بس من عشر سنين بعد

ما كانت مقفوله لفتره طويله وكمان اشتراها برخص التراب وتقريبا غير نشاطها من شركه طيران

-و القضايا بتاعتنا من قبل كدا بكتير

-فعلا وعلشان كدا هقابل صاحبها وهحاول أوصل لبقيت الحكايه

-كدا احنا لقينا حلقه وصل بين إبراهيم وسامح .. لسه وائل لازم ندخله معاهم في الحلقه

-يعنى

-يعنى لازم تسأل اخوه مدحت سؤال واضح لو كان هو سافر في اى مكان قبل ما يختفى ولا لأ

-احتمال كبير فعلا يا فندم ، تقريبا حضرتك بدأت تقتنع

-هو انا مش عارف هيوصلنا لايه بس فكره اننا نجمعهم في قصه واحده هي اكيد بدايه الحل وجايز هي السبب في تجميع بطايقهم فى مكان واحد

-صح ، هستأذن انا واى جديد هاجى ابلغ حضرتك بيه

-انا كنت عارف انك هتبقى ادها

-دى شهاده اعتز بيها يا باشا

-صباح الخير

-صباح النور يا أستاذ مدحت

-في اخبار جديده عن قضيه وائل ولا ايه ؟

-الحقيقه كنت عاوز اعرف من حضرتك حاجه .. حاول ترجع بالزمن كدا لورا وتفتكر

-افتكر ايه بالظبط

-الباشمهندس وائل قبل ما يختفى بفتره سافر لاى مكان ؟

-و حضرتك عرفت ازاى ؟

-يعنى فعلا كان مسافر

-اختفى بعد رجوعه من السفر على طول أصلا .. يعنى يومين تلاته تقريبا

-كان مسافر فين

-وائل كان بقاله كذا سنه بيحاول بكل الطرق انه يسافر يحج عن امى الله يرحمها .. في الاول الموضوع كان صعب ماديا بس بعد كدا ولان نيته كانت صافيه ربنا كرمه في شغله وقدر يجمع الفلوس وسافر

-طيب في حد كان مسافر معاه ؟

-لا كان لوحده .. انا فاكر كمان انه كان عنده مشكله في السفر او في الورق بس صاحب الشركه كان محترم واتعاون معاه جدا في وقتها وساعتها قولنا ان ربنا اكيد يسر السفر علشان نيته

-طيب تقدر تفتكر اسم صاحب الشركه دا او اسم الشركه

-صاحبها صعب افتكر .. دا الحكايه دى فات عليها سنين كتير

-طيب اسم الشركه حتى

-مش قادر افتكر الاسم بس هي كانت اشهر شركه في وقتها وبعدها قفلت فتره واعتقد انها حاليا مش شركه طيران اصلا

-اسمها الصفوه ؟

- أيوه فعلًا هي دي .. كمان في حاجة تقريبًا وائل قالي انه عاوز يرد للراجل صاحب الشركه جميله معاه بانه يعزمه على فرحه بس مش فاكر كان عمل كدا فعلا ولا لا ..

-يعنى ممكن يكون الباشمهندس عزمه فعلا وبعتله دعوه الفرح

-مش اكيد ... بس حضرتك بتسأل كل الاسئله دى ليه ؟

-احنا بنحاول نجمع شويه معلومات تربط بين التلت ضحايا اللى اختفوا في نفس

السنه وكمان بنفس الطريقه وهما ميعرفوش بعض أصلا

-يعنى الاتنين اللى لقيتوا بطايقهم كمان كانوا مسافرين مع وائل تبع الشركه دى ؟

-مش بالظبط ، هما فعلا سافروا بس رحلات تانيه واختفوا بعد رحلتهم مع الشركه دى بايام بسيطه بردو

-دى حاجه غريبه .. عمرى ما فكرت ان اختفاء اخويا هيكون ليه علاقه بسفره للحج قبلها

-هي حاجه غريبه واحنا كمان لسه موصلناش لدليل قوى بس ادينا بنحاول

-ربنا معاكوا وتوصلوا

-اى جديد هنبلغ حضرتك بيه في اسرع وقت متقلقش

انصرف مدحت وبعد دقائق دخل عماد قائلا

-بقالى يوم مسمعتش صوتك

-اهلا يا باشا ازى حضرتك

-أنا كويس يا سيدي، إيه آخر الأخبار؟

-الأخبار زي ما حضرتك توقعت، وائل فعلًا سافر مع نفس الشركة قبل اختفائه كان بيحج.

- كويس جدًا، كدا التلاتة اتجمعوا فعلًا في قصة واحدة فاضل بس نوصل لقصه صاحب الشركة.

- أنا وصلت لاسم صاحبها الحالي فعلًا وكنت رايح أقابله كمان شوية، اسمه عاصي عبد الفتاح.

- هي مصر ضيقة آه بس مش كدا

- هو حضرتك تعرفه ولا إيه ؟

- طبعا أعرفه دا صاحب الأرض اللي حصل عليها جريمة القتل في الكومباوند.

- آه صح، أنا حسيت إن الاسم مش غريب بردو اه

- لا أنت تسيب لي أنا بقى الطلعة دي، هروح أقابله أنا.

- زي ما تحب يا باشا.

****

-لو سمحتي كنت عاوز أقابل أستاذ عاصي عبد الفتاح المدير.

- بخصوص إيه حضرتك؟

- بلغيه إني عاوزه في موضوع مهم ومش هاخد من وقته كتير.

- طيب أقوله مين؟

- الظابط عماد وهو هيفهم

- طيب اتفضل استريح يا فندم ثواني.

دخلت لتخبر عاصي بوجوده بينما جلس هو في انتظارها، لم تتأخر كثير حتى أتت لتخبره بالدخول قائلة اتفضل يا فندم مستر عاصي في انتظارك

نهضٍ متجهًا إلى باب المكتب طرقه في هدوء ثم دخل ملقيًا السلام عليه فرحب قائلا

-أهلا يا فندم اتفضل.

- شكرا ليك يا أستاذ عاصى.

- حصل تطورات جديدة فى القضية ولا ايه؟

- هو من ناحية التطورات فإحنا مش ملاحقين الحقيقة بس أنا جايلك النهارده بخصوص حاجة بعيدة شوية.

- اتفضل، بخصوص إيه بالظبط؟

- بخصوص الشركة اللي إحنا فيها دي.

- مالها، الشركة كل أوراقها كاملة وماشية مظبوط

- مش دا قصدي .. أنا عاوز أعرف أنت اشتريت الشركة دى من مين وامتى ؟

-من صاحبها من عشر سنين باين

- أيوه صاحبها دا اسمه ايه ؟

-عمر حمدي.

- طيب وهو استغنى عنها وباعها ليه خصوصا إني عرفت إنك اشتريتها برخص التراب.

-هى اصلا كانت شركه طيران واتقفلت فتره طويله ورثها من والده بعد وفاته ولانه عايش طول حياته بره مصر نزل باع كل املاكه وسافر تانى

-وطبعا وقتها السعر مكانش فارق معاه

-بالظبط تخلص من حمامك القديم .. كان عاوز يتخلص من كل املاكه اللى هنا وخلاص

-و حضرتك بقى اشتريت منه الشركه وغيرت نشاطها

-اشتريت الشركه دى والارض اللى عليها الكومباوند وكان في كمان شقه والده وارض تانيه في المعادى بس كانوا اتباعوا

-قصدك الارض اللى حصل فيها جرايم القتل ؟

-اه هى... حضرتك استغربت كدا ليه

-لا مفيش حاجه ، بس واضح ان كان فى اوفر جامد وقتها

-مش هخبى على سعادتك هي فعلا كانت فرصه كبيره

-لا مهو باين ... ماشى يا عاصى باشا شكرا على وقتك

-تحت امر حضرتك في اى وقت بس انا مفهمتش بردوا في ايه ؟!

-مفيش حاجه تضر سعادتك .. احنا بس بنجمع شويه معلومات عن صاحب الشركه القديم متشغلش بالك وانا اسف عن الازعاج

انصرف عماد متجها الى سيارته ، يفكر كيف يربط كل هذه الأسماء والمعلومات معا كما ربطهم صانع اللغز وما غرضه من هذا ؟ اختلطت الامور ببعضها ولن يستطع ترتيب كل هذا بمفرده فاتجه الى فوزى ليساعده في ذلك دخل المكتب عليه قائلا

-انا دماغى لفت

-ليه يا فاندم بس عرفت ايه جديد

- لسه جاى دلوقتى من شركه الصفوه سابقا وقابلت الأستاذ عاصى

-طيب استريح بقى كدا واهدى وقولى بالظبط طبيعه علاقه الراجل دا بالموضوع وقالك ايه بالظبط

-الراجل دا فعلا اشترى الشركه من فتره كبيره وكانت شركه طيران زمان

-لحد كدا تمام

-الغريب بقى انه مش بس اشترى الشركه لا دا كمان اشترى الارض اللى بينفذ عليها الكومباوند من نفس الراجل

-دا كان مزاد دا ولا ايه

-تقريبا كدا ، صاحب الاملاك دى عايش بره مصر طول عمره واسمه عمر حمدى ، ورثهم عن والده ونزل مره واحده باع كل حاجه وسافر تانى

- حمدى ! اخيرا عرفنا مين حمدى اللى اسمه على الميداليه اللى جابها سامح ودعوه فرح وائل

- تصدق مأخدتش بالى ، يبقى هو دا الشخص اللى ربط بينهم ...

1997

لم يذهب حمدى الى الشركه من أسبوعين مضوا ، بل انه لم يذهب الى اى مكان بعد اخر مره خرج فيها ، فاستغيبته علياء وشعرت ببعض القلق فكلما حاولت الاتصال به لا تجد اجابه ، تعلم انه يعيش وحيدا لذا فكرت في طريقه أخرى للوصول اليه فاخبرت المحامى بذلك واتفقا ان يذهبا للاطمئنان عليه لعله مريض ولا يجد من يداويه ، بالفعل بعد ان انتهت ساعات العمل المحدده اتجهت مع الأستاذ محمد المحامى الى بيت مديرها .

بعد اكثر من عشر دقائق متواصله من رنين الجرس بلا اجابه تركها محمد وهبط في توتر الى حارس العماره يسأله ان كان حمدى بالداخل ام انه في نزهه في مكان ما ، وازداد توتره عندما نفى الحارس خروجه ، فعاد مسرعا وخلفه الحارس ،بدأ يدق الباب بكل استطاعته ويعلوا صوته بالنداء بلا فائده ، لا مفر سوا اختراق هذا الباب الذى يعوقهم ، اتحدوا لفعل هذا ، حتى استطاعوا هدمه على الأرض واندفعوا الى الداخل بحثا عنه ، كانت الصدمه ان وجدوه جثه هامده على الارض يحيطها العديد من علب الدواء الفارغه !

الساعه الثامنه والنصف صباحا حمدى يغلق باب سيارته مستعدا لفهم الامر ، متجها الى مصنع صديقه دخل متسائلا عن مكتب الاستاذ ابراهيم حتى وصل الى سكرتيره مكتبه

-ازيك

-اهلا بحضرتك ، اتفضل

-ممكن اقابل الاستاذ ابراهيم ، قوليله صاحبك حمدى

-طيب اتفضل حضرتك ارتاح ، الأستاذ عبد العزيز هو اللى موجود دلوقتى

-شكرا ليكى ، بس انا عاوز إبراهيم صاحبى

-هو انتوا أصحاب ؟ -يااااه دا من سنين عمر

-بس شكل حضرتك متعرفش

-معرفش ايه ؟!

-استاذ ابراهيم يا فندم متغيب بقاله فتره عن الشغل وكمان عن بيته وكل اللى يعرفوه قلقانين عليه والشرطه لسه بتدور

-ازاى ؟ انتِ متأكده

-اسفه جدا يا فندم بس دى الحقيقه ودا كل اللى اعرفه ، علشان كدا حضرتك ممكن تقابل استاذ عبد العزيز لو فى شغل مستعجل

-شغل ايه بس !!

صدمه لا مثيل لها من مصدر لم يتوقعه ابدا ، شتت عقله اكثر واكثر ...

ومع اقتراب موعد زفاف وائل اختفى عن الانظار لمده شهر تقريبا ، رشح حمدى ان تجهيزات الزفاف سبب اساسى فى هذا الاختفاء وعليه ان يتصل هو ليعرض عليه اى مساعده ، بالفعل اتصل لكن جاءه صوت غريب هذه المره

-الو

-ايوه .. وائل ؟

-لا انا اخوه

-اهلا وسهلا .... ممكن اكلم وائل لو سمحت

-للأسف هو مش موجود دلوقتى

-مش مشكله ، انا عارف ان تجهيزات الفرح اكيد شغلاه

-مش دا لو كان فى فرح اصلا

-ليه بس بعيد الشر ، هو مش الفرح خلاص قرب

-دى حقيقه بس هو ينفع فرح من غير عريس

-مش فاهم

-لا ولا حاجه .. هو مين حضرتك ؟

- انا ووائل معرفه قديمه وكنت عاوز اباركله على الفرح

-ربنا يخليك ، اوعدك هبلغه ان شاء الله لو قابلته تانى

-هو انا ممكن افهم قصدك ايه بالظبط ؟!

-ممكن ، العريس متغيب بقاله فتره ومفيش حد يعرف عنه حاجه

-لا حول ولا قوه الا بالله طيب والحل

-فى تحقيق شغال فى الموضوع بس شكلها كدا ملهاش حل وفرحتنا اتكسرت

-ربنا يطمنك عليه قريب ان شاء الله

-امين

بعد ما يقرب من أسبوع تذكر وعده لسامح بان يتناول معه الغداء فقرر الذهاب اليه لينفذ هذا الوعد ، يسوق سيارته ويدرك الطريق جيدا ، وصل في وقت قياسى ، رن الجرس مبتسما وانتظر ، رن للمره الثانيه والثالثه ولكن كلها تبوء بنفس النتيجه ، قرر ان يدق باب أخيه حسن بالسؤال قائلا

-السلام عليهم

-و عليكم السلام .. مين حضرتك

-انا كنت بسأل على دكتور سامح

-و انا اللى افتكرتك جاى تعرف عنه حاجه

-يعنى ايه مش فاهم

-لا مفيش اصلوا مش موجود

-طيب هيرجع امتى

-ادعى انه يرجع اصلا

-افندم !!

-سامح اخويا مختفى من يوم السبت ومعرفش عنه حاجه ولا حد شافه ولا ظهر في المستشفى ومش عارف مختفى فين ولا مع مين

-بس غريبه ، عربيته موجوده تحت

-مهو الغريب فعلا انه يوم السبت مأخدش العربيه وهو رايح المستشفى

-مش جايز مراحش

-زمايله شافوه يومها ، كلهم شهدوا بكدا

-طيب ما تبلغ

-اكيد عملت كدا بس برضوا موصلتش لحاجه

- ربنا يطمنك عليه ويرجعه بالسلامه

- لو عرفت اى حاجه عنه من فضلك عرفنى

- اوعدك اكيد

٢٠١٦

-حرام عليكى يا مريم كفايه لف انا تعبت

-يعنى عاوزنى اجيب فستان فرحى اى كلام

- يا سلام ، طيب ما انا جبت البدله من اول محل دخلناه معنى كدا انها اى كلام

-لا ، بس انا ممنعتكش انك تلف انت اللى مش حابب

-و اللهِ لولى الكسوف كنت حضرت بالبدله اللى عندى

-لأ جاى على نفسك ومكلف

-طيب سيبك من الفستان والبدله وقوليلى مش هنختار دعوه فرحنا بقى ، انا الدعوه اللى كانت دليل فى القضيه مجنانى عجبانى موت

-اعوذ بالله عاوزنى اعمل دعوه فرحى شكل دعوه كانت دليل فى قضيه قتل لأ وايه كمان كانت السبب فى قتل صاحبها ، قلب امه رايح يعزم صاحبه على فرحه ويعرفش انه هيموته يعنى بيعمل خير لكن اللى قدامه ندل ،،،حسبى الله ونعم الوكيل فيه حسبى الله ونعم الوكيل

-خلاص خلاص كفايه انا اسف

-خلاص ازاى بس ، انت ازاى تفكر فى فكره زى دى .....

بعد تعرضك لصدمه كبيره فى الحياه تحولك الى ضحيه تعيش بروح هشه ، تنكسر نفسك وتصور لك واقع خيالى يتناسب مع روحك الهشه ولا يتناسب مع الحقيقه لتجعلك تستمر فى دور الضحيه ولكن بدون وجه حق فقد اصبحت الجانى فى النهايه دون ان تدرك

« يظلمك الزمان فتخزن لظلمه ثم تغيرك نفسك لتتقن دور المظلوم وانت هو الظالم»